روايات مصرية للجيب
رجل المستحيل

قلب العاصفة

٢٨



● قلـب العاصفــة ●

● كيف تم اختطاف باخرة مصرية ، فى قلب البحر المتوسط ؟

● لماذا تعرضت الباخرة لأعتى عاصفة بحرية فى هذه الظروف ؟

● هل ينجح (أدهم صبرى) فى مواجهة المختطفين ، والخروج من قلب العاصفة ؟

● إقرأ التفاصيل المثيرة ، لترى كيف يعمل (رجل المستحيل) .



المؤلف
د. نبيل فاروق

رجل المستحيل سلسلة روايات بوليسية للشباب زاخرة بالأحداث المثيرة

● رجل المستحيل ● قلب العاصفة ● (٢٨) ● المؤسسة العربية



الثمن فى مصر
وما يعادله بالدولار الأمريكى
فى سائر الدول العربية والعالم

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

لقد أجمع الكل على أنه من المستحيل أن يجيد رجل واحد فى سن (أدهم صبرى) كل هذه المهارات .. ولكن (أدهم صبرى) حقق هذا المستحيل ، واستحق عن جدارة ذلك اللقب الذى أطلقته عليه إدارة المخابرات العامة لقب (رجل المستحيل) .

د. نبيل فاروق

١ ــ اختطــاف ..

انطلقت الباخرة المصرية (حرية) ، تمخر عباب البحر المتوسط ، فى طريقها من ميناء (برشلونة) بإسبانيا ، إلى ميناء (الإسكندرية) ، وكانت قد وصلت إلى منتصف الطريق تقريبًا ، وركابها يلهون فوق سطحها ، ويسبح بعضهم فى حوض السباحة الضخم ، على حين يمارس البعض الآخر رياضات مختلفة ، كالجرى والبلياردو ، وتنس الطاولة ، ويعمد الباقون إلى الراحة والاسترخاء فى مقاعدهم فوق السطح ، مستمتعين بأشعة الشمس الدافئة ، فى ذلك الوقت من العام ، حيث تمتلئ معظم بلدان العالم بالأمطار الغزيرة ، والثّلوج والرياح الباردة .

وكانت وجوه الركاب تحمل ملامح مختلف الجنسيات ، من الأوربيين والآسيويين وسكان الأمريكتين وإفريقيا .. وكانت الأصوات تختلط فى مزيج عجيب ما بين ضحكات وصياح ، ومحادثات ، حينما ارتفع صوت جرس مميَّز ...

لم يكد صوت رنين الجرس يخفت ، حتى كان ركاب الباخرة الضخمة قد اتخذوا هدفًا واحدًا ، فترك كل منهم ما يشغله ، وتوجَّهوا جميعًا إلى ردهة الطعام لتناول الغداء ، دون أن يخفت ذلك الضجيج الذى يحدثه اختلاط أصواتهم ..

ولم يكد يستقر بهم المقام داخلها حتى بدأت أصواتهم فى التلاشى ، وحلَّت محلها أصوات الملاعق والشوكات والسكاكين ، وهى تقطع وتلتقط الطعام من الأطباق ..

وفى الوقت الذى انهمك فيه الجميع فى تناول طعامهم ، لم يلحظ أحدهم ثلاثة رجال ، انتهوا من تناول طعامهم بأسرع من المعتاد ، ثم نهضوا مغادرين منضدتهم ، وتحرَّك كل منهم فى اتجاه ، بحيث سار أولهم فى خطوات هادئة نحو باب ردهة الطعام ، فأغلقه ، وارتكن إليه بظهره ، على حين توجَّه الثانى فى عصبيَّة ، إلى الباب الموصِّل ما بين الرَّدهة والمطبخ ، فاتخذ وضعًا متوسِّطًا بينهما ، وهو يتلفت حوله فى توتُّر واضح ، أما الثالث فقد صعد إلى حيث تجلس الفرق الموسيقية فى المساء ...

وفى آن واحد ، أخرج كل من الثلاثة مسدسًا ضخمًا ، وصوَّبه إلى ركاب الباخرة ، وفى هدوء قال ذلك الذى يشغل مكان الفرقة الموسيقية :

ــ من الأفضل ألَّا يتحرَّك أحدكم من مقعده .. هذه الباخرة مختطفة .

ساد الصمت التام ، واكتست وجوه الركاب بمزيج من الدهشة والخوف ، ثم لم تلبث صرخات الفزع والرُّعب أن انطلقت من حناجر النساء وبعض الرجال ، وأسرع الأطفال يتعلَّقون بآبائهم وأمهاتهم فى رعب ، على حين عاد الرجل يكرِّر فى هدوء مثير :

ــ كما قلت من قبل .. إنه اختطاف .

ثم ابتسم ابتسامة أقرب إلى السخرية ، وهو يردف :

ــ وسنطلق النار على أول من يحاول المقاومة منكم .

* * *

حينما توجَّه الركاب إلى ردهة الطعام ، انفصل عنهم رجلان ، توجَّها فى هدوء إلى كابينة القيادة ، حيث يجلس

قبطان الباخرة (إيهاب رضوان) .. وكان هذا الأخير يراجع بعض الخرائط الملاحية ، عندما شاهد الرجلين يدخلان الكابينة دون استئذان ، فقال فى استياء وهو يقطّب حاجبيه :

ــ ليس هذا مكانًا عامًا أيها السيّدان .. يؤسفنى أن أطلب منكما الانصراف ..

لم يبال أحد من الرجلين بقوله ، بل أغلق أحدهما باب الكابينة ، واستند إليه ، على حين تحرّك الآخر ، واتخذ مكانه خلف مهندس الباخرة الأول ، فتحوّلت لهجة القبطان (إيهاب) إلى الحدّة وهو يكرّر :

ــ أرجو أن تتصرفا فى هدوء وإلّا ....

قاطعه الرجل الذى يستند إلى باب الكابينة ، حينما أخرج مسدسه الضخم وصوّبه إليه ، قائلًا فى برود :

ــ إننا لا ننوى الانصراف أيها القبطان ، فلا تضع وقتك فى طلب ذلك .. وبالمناسبة هذه الباخرة مخطوفة .

حاول المهندس الأول أن يتحرّك فى حدّة ، ولكنه شعر بمسدس الرجل الثانى يلتصق بجبهته ، وسمع صوت القبطان يقول للرجل الأول :

ــ إنه تصرُّف أحمق .. من المستحيل أن ينجح حادث الاختطاف هذا .

ابتسم الرجل فى سخرية ، وقال :

ــ دَعْنا نحاول على الأقل .

ثم أشار إلى جهاز الاتصال اللاسلكى ، وقال :

ــ سنبدأ بأن نوجّه رسالة خاصّة إلى حكومتك .. سنطلب منهم مطلبًا واحدًا ، فإما أن ينفّذوه ، أو تتحوّل هذه الباخرة الطريفة إلى مقبرة بحرية جماعيّة .. هيّا .. ابدأ الاتصال .

* * *

٢ ــ مهمة خاصّة ..

توقّفت سيارة العقيد (أدهم صبرى) ، أمام مقر رئاسة الوزارة المصرية ، وهبط منها وهــو يتساءل عن سبب استدعائه إلى هذا المكان ، الذى لم يطأه بقدمه مطلقًا من قبل .. كان يخمّن أن السبب هام وعاجل جدًا بلا شك .

زاد من شعوره هذا ، أن ضابط الأمن أسرع يقوده إلى غرفة اجتماع مجلس الوزراء ، فور تحقّقه من شخصيته ، وسمع (أدهم) ضابط الأمن يقول فى احترام واهتمام :

ــ لقد وصل العقيد (أدهم صبرى) ياسيادة الرئيس .

اتسعت عينا (أدهم) دهشة ، حينما سمع صوتًا رصينًا عميقًا مميّزًا يقول :

ــ أدخله على الفور أيها الضابط ، ولا تسمح لأحد بالدخول بعد ذلك .

أسرع (أدهم) يخطو داخل الحجرة ، ثم توقّف أمام صاحب الصوت الرصين ، ورفع يده بالتحية العسكرية فى احترام ، وهو يقول فى صوت هادئ :

ــ العقيد (أدهم صبرى) فى خدمتك ياسيادة الرئيس .

لم يكن صاحب الصوت الرّصين سوى رئيس الجمهورية نفسه ، مما دفع من نفس (أدهم) بقايا الشك فى مدى خطورة المهمة ، ودار ببصره فى لمحة سريعة ، تأكد بعدها من أن الحجرة تضم أيضًا رئيس الوزراء ، ومدير المخابرات المصرية أيضًا .. ولكن رئيس الجمهورية هو الذى تحدّث ، وهو يشير إليه بالجلوس قائلًا :

ــ إنك تبدو أصغر سنًا من الرُّتبة التى تحملها أيها العقيد .. إنها ترقية استثنائية .. أليس كذلك ؟

ابتسم (أدهم) لفطنة رئيس الجمهورية ، وقال :

ــ بلى .. إنها كذلك ياسيّدى الرئيس .

أومأ رئيس الجمهورية برأسه ، وبدأ يعرض الأمر مباشرة ، قائلًا دون مقدّمات :

— لقد خطف بعضهم إحدى بواخرنا يا (ن ـ ١) .. هذا رمزك الكودى .. أليس كذلك ؟.

قال (أدهم) فى اهتمام :

— بلى يا سيّدى .

عاد رئيس الجمهورية يستطرد فى هدوء ورصانة :

— لم يعلن المختطفون عن هويتهم ، ولكنهم حدّدوا مطالبهم ، أو مطلبهم الأوحد على وجه الدّقة .. إنهم يطلبون الإفراج عن (يعقوب زافان) ، الجاسوس الذى تم القبض عليه منذ عشرة أيام ، بتهمة تصوير بعض المطارات السّرّيّة المصرية .. إن مطلبهم هذا قد حدّد هويّتهم بالطبع .. فنحن نعتقد أنهم رجال (الموساد) .

ردّد (أدهم) فى بطء ، وكأنه يحاول استيعاب المعلومة :

— (الموساد) ؟!!

تابع رئيس الجمهورية فى هدوء :

— إنها المرة الأولى التى يلجئون فيها إلى هذا الأسلوب ، ولكن يبدو أن هذا الجاسوس يمثّل بالنسبة لهم أهمية بالغة ، وإلّا فما خاطروا بهذا الشكل .

صمت رئيس الجمهورية لحظة ، ثم عاد يقول :

— لقد أمهلنا المختطفون أربعًا وعشرين ساعة لتنفيذ مطلبهم ، وإلّا فسينسفون الباخرة بكل من عليها ، وسيكون هذا فى الساعة الثانية والنصف من ظهر الغد .

نظر (أدهم) فى تلقائية إلى ساعة يده ، ولاحظ أنها تشير إلى السادسة مساءً ، بما يعنى أن المهلة قد اختُصِرَتْ إلى عشرين ساعة ونصف الساعة فقط .. وعاد ينصت إلى رئيس الجمهورية ، الذى تابع :

— ولن أخفى أننا نحاول بكل طاقتنا ، عدم الاستسلام للمختطفين يا (ن ـ ١) ، أو على الأقل بذل كل ما يمكننا من المحاولات ، قبل أن نضطر لذلك .. ولقد تحدّثت طويلًا مع مجلس الوزراء ، وبحثنا هذا الأمر من كل النقاط ، ثم استقرّ رأينا على ضرورة القيام بمحاولة لاسترداد

الباخرة ، ولقد فكّرنا فى البداية فى الاستعانة بفرق الصاعقة ، المدرّبة على مكافحة الإرهاب ، ثم اقترح مدير المخابرات الاستعانة بك .

عاد رئيس الجمهورية إلى صمته لحظات ، ثم أردف :

— من الوجهة العملية فإن الاستعانة برجل واحد ، أفضل دائمًا من إرسال فريق عسكرى كامل .. هذا لو أن هذا الرجل يمكنه القيام بعمل الفريق طبعًا .

تمتم مدير المخابرات فى ثقة :

— إنه قادر على ذلك يا سيادة الرئيس .

مطّ رئيس الجمهورية شفتيه ، وقال بعد برهة من التفكير :

— إنهم يقصّون عنك أقاصيص تشبه الأساطير أيها العقيد ، حتى أنهم نجحوا فى أن يجعلونا نراهن بك فى مقابل العملية كلها ..

قال (أدهم) فى صوت حازم قوىّ :

— سأبذل قصارى جهدى يا سيّدى .

حرّك رئيس الجمهورية رأسه ، وقال :

— أقصى ما يهمُّنى ، هو ألّا يتعرّض راكب واحد للقتل يا (ن ـ ١) .. لو أنك شعرت باحتمال فشل المهمة ، فلا تلجأ للمخاطرات غير المدروسة .. وللمرة الثانية أحذّرك .. أقصى ما يهمُّنى هو حياة ركاب الباخرة .

عاد (أدهم) يكرر :

— سأفعل أقصى ما أستطيع يا سيّدى .

تنهّد رئيس الجمهورية ، وقال :

— هناك مشكلة أخرى سواجهك يا (ن ـ ١) .. أتمنّى ألّا تؤثر على كفاءتك فى مواجهة الموقف .

نظر (أدهم) إلى رئيس الجمهورية فى تساؤل ، فتابع قائلًا :

— إن المختطفين يحتفظون بالباخرة (حرية) ، فى خط طول (١٧°) وخط عرض (٣٥°) ، وستتعرّض هذه النقطة البحرية فى تمام العاشرة إلى عاصفة بحرية عاتية ، إلى درجة يخشى معها الخبراء أن تتحطّم الباخرة تمامًا ، لو أنها

لم تغادر المنطقة فى الثالثة والنصف بعد منتصف الليل على أقصى تقدير .. وهذا يعنى للأسف أن المهلة الممنوحة لك قد انتقصت مرة أخرى ، إلى تسع ساعات لا غير .. هل تجد نفسك قادرًا على أداء المهمّة ؟

فكّر (أدهم) قليلًا ، ثم ابتسم وهو يواجه رئيس الجمهورية ، قائلًا فى ثقة وحزم :

ـــ بكل تأكيد يا سيادة الرئيس .

* * *



٣ ـــ الخدعة الأولى ..

أغلق (أدهم صبرى) أزرار زىّ الغطس المطّاطىّ ، وأحكم رباط أنبوب الأكسوجين المعلّق فوق ظهره ، عندما قال قائد الهليوكوبتر التى تقلّه :

ـــ ها قد بدت الباخرة على بعد كيلومتر واحد ، يا سيادة العقيد ؟

ألقى (أدهم) نظرة سريعة على ساعته ، فوجد أنها تشير إلى الثامنة والربع مساءً ، وقال وهو يفتح باب الهليوكوبتر ، ويشعر بالهواء البارد ، يرتطم بوجهه :

ـــ أخبرنى حينما تصبح على بعد نصف كيلومتر فقط .

سأله الطيّار فى قلق :

ـــ هل تريدنى أن أهبط قليلًا ؟.. لقد بدأت الأمواج فى الارتفاع و....

قاطعه (أدهم) ، قائلًا فى سخرية :

ـــ استمر فى ارتفاعك يا صديقى .. إننى أهوى القفز من علٍ .

زوى الطيار ما بين حاجبيه ، وقال فى قلق :

ـــ ولكننا ننطلق على ارتفاع ثلثمائة كيلومتر و....

قاطعه (أدهم) فى لهجة آمرة :

ـــ أين نحن الآن ؟

قال الطيار وقد تخلّى عن قلقه ، وعادت إليه الرُّوح القتالية :

ـــ على بعد نصف كيلومتر تمامًا .

وضع (أدهم) منظار الغوص فوق عينيه ، وقال فى لهجة أقرب إلى المرح :

ـــ إلى اللقاء يا صديقى .. موعدنا على الشاطئ أو فى الجنة .

وقبل أن يردّ الطيار تحيته ، كان (أدهم) قد ألقى بنفسه فى الهواء ، وسبح جسده طويلًا ، وهو يهبط بسرعة رهيبة نحو مياه البحر ، التى ارتفعت أمواجها وتلاطمت ..

ولكنه لم يلبث أن غاص وسطها كالحجر ، واندفع كثيرًا نحو الأعماق ، قبل أن تدفعه حركة يديه وقدميه ، ويساعده دفع الماء على الارتفاع مرة أخرى ..



وفى الهليوكوبتر هزّ الطيار رأسه فى دهشة ، وغمغم محدّثًا نفسه :

ـــ يا له من رجل !! لقد قفز دون أن يتردّد لحظة واحدة .. إنه حقًّا رجل من نوع خاص .

ثم أردف ، وهو يندفع ليدور حول الباخرة :

ـــ حسنًا فلندعه لعمله ، ولأقم أنا بعملى ..

* * *

وقف القبطان (إيهاب رضوان) بقامته الفارهة ، ووجهه الطفولى ، يتطلّع إلى مياه البحر ، محاولًا اختراق الظلمات ، وقد بدا القلق واضحًا على ملامحه ، حيث زوى حاجبيه الرفيعين ، وزمّ شفتيه الصغيرتين ، وضاقت عيناه الواسعتان ، وهو يقول فى ضيق واضح ، محدّثًا أحد المختطفين اللذين يحتلان كابينة القيادة :

ـ لو أردت نصيحتى ، فهذه العملية فاشلة تمامًا :

ابتسم أكبر المختطفين حجمًا ، وقال فى سخرية :

ـ يمكنك أن توفّر نصائحك ، وتدعنا لعملنا أيها القبطان .

هزّ القبطان (إيهاب) رأسه فى حنق ، وقال فى جدّة :

ـ إنك لا تقدّر عواقب الأمور .. إن خبرتى الطويلة ، ونتائج أجهزة وعدادات الباخرة تقول إننا سنتعرّض جميعًا لعاصفة عاتية ، بعد ساعة ونصف ساعة على الأكثر .

ابتسم المختطف ، وقال :

ـ هل تخشى العواصف أيها القبطان ؟

مطّ القبطان (إيهاب) شفتيه ، ولاذ بالصمت ، على حين قال المهندس الأوّل :

ـ القبطان يعنى أنه ما لم نتحرّك مبتعدين عن هذه النقطة ، فإن العاصفة ستدمّرنا تمامًا .

أطلق المختطف ضحكة ساخرة عالية ، وقال :

ـ هذا صحيح أيها المهندس .. نحن أيضًا نعلم بأمر هذه العاصفة .. إنها تمامًا ما نحتاج إليه .

نظر إليه القبطان فى دهشة ، وكذلك فعل المهندس الأوّل ، على حين استطرد هو فى تهكّم :

ـ لا ريب أن خبراءكم وقادتكم ، يعلمون أيضًا بأمر هذه العاصفة العاتية ، كما يعلمون أن الحدّ الأقصى لابتعادنا عن قلبها ، حيث يزداد الخطر ، هو الثالثة والنصف صباحًا ، وهذا مفيد للغاية يا صديقى ..

أولًا : لن يمكن اقتحام الباخرة منذ بداية العاصفة وحتى نهايتها ..

ثانيًا : سيظنّ قادتكم أننا نجهل الخطر الذى تتعرّض إليه الباخرة ، بدليل أننا منحناهم مهلة طويلة ، ستحطّم

الباخرة قبلها بكثير لو ظلّت هنا ، وبالتالى ستزداد الضغوط عليهم لتنفيذ مطلبنا ، خوفًا على حياة الركاب .

ثالثًا : ستصيب العاصفة معظم الركاب بدوار البحر ، بحيث تتم السيطرة عليهم بصورة أسلس .. هل رأيت كيف خطّطنا للأمر بعناية ؟

ظهر الاشمئزاز على وجه القبطان ، وعاد يتطلّع إلى ظلمات البحر ، موليًا المختطفين ظهره ، وهو يقول فى ضيق :

ـ أيًا كان ما خططتم له ، فلا ريب أن العاصفة ستهاجمنا بضراوة ، وسواء نجحت خطّتكم أم فشلت ، فستحطّم الباخرة تمامًا ، حتى يصبح من الصعب تمييز اسمها فوق بقاياها .

وفجأة .. قفز المختطف من مقعده ، وصاح فى قسوة :

ـ فليصمت الجميع .. هناك هليكوبتر تقترب .

لمع بريق الأمل فى عينى القبطان ، وحاول مداراة الأمر قائلًا :

ـ إنه صوت الأمواج ، فالعاصفة تقترب .

صاح المختطف فى شراسة :

ـ صه أيها القبطان اللّعين .. إنه صوت طائرة .. لا يمكنك أن تخدع محترفًا مثلى .

ثم أشار إلى بقعة ضوئية تدور حول الباخرة ، وصاح فى قسوة وغضب :

ـ ها هى ذى .. أقسم أن أقتلكم جميعًا ، لو أنها تحمل رجال إنقاذ .. أقسم على ذلك .

* * *

تخلّص (أدهم) من أنبوب الأكسوجين ، وتركه يغوص إلى الأعماق ، ثم صعد إلى سطح البحر ، بجوار جسم الباخرة تمامًا ، وسبح فى هدوء حتى وصل إلى (الجنزير) المعدنى ، الذى يربط الهلب بالباخرة ، وأسرع يتسلّقه فى مهارة وسرعة ، ثم انتظر قليلًا حتى



سمع صوت الهليوكوبتر تدور حول الباخـرة من الجانب الآخر ، فتحرّك فى خفّة ، وواصل تسلّقه ، ثم قفز داخل غرفة الماكينات بالباخرة ، من خلال فتحة إنزال الهلب ..

ظلّ (أدهم) ثابتًا كالتمثال فترة طويلة ، ثم غمغم فى سخرية :

ـ من الواضح أن صديقنا الطيار قد قام بعمله على أكمل وجه .. لقد جذب انتباههم تمامًا إلى الجانب الآخر ، بحيث سمح لى بالدخول دون أن يلمحنى أحد .

وفى الحال .. بدأ ينزع حُلّة الغوص فى خفّة ، وكان يرتدى تحتها زىّ ضابط بحرى برتبة مقدّم .. ولم يكد ينتهى من نزع ثوب الغطس المطّاطىّ ، حتى شعر بقطعة من المعدن البارد تلتصق بجنبه ، وسمع صوتًا هادئًا يقول :

ـ أفصح عن هويّتك يا صديقى .. وأسرع ، فأنا لا أتميّز بالصّبر ، ورصاصات مسدسى قلقة ، تريد أن تنطلق ، مخترقة ثوبك التنكّرىّ الزّائف هذا .

* * *

٤ ـ أمواج الخطر ..

لم يُضِعْ (أدهم صبرى) وقتًا طويلًا ، فى محاولة معرفة شخصية مهاجمه ، بل قرّر تأجيل ذلك لما بعد ، وتحرّك فى سرعة مذهلة ، فمال جانبًا ، وغاص إلى أسفل ، ثم دار حول نفسه كراقص الباليه ، وقبض على معصم الرجل الذى يهدّده بمسدّسه ، ثم تحرّكت قبضته الأخرى فى سرعة ، لتغوص فى معدة الرجل ، ثم ترتفع إلى ذقنه فى لكمة قوية ألقته أرضًا ، وأفلت مسدّسه من يده .. وقبل أن يحاول الرجل النهوض ، التقط (أدهم) مسدّسه ، وصوّبه إليه قائلًا فى سخرية :

ـ والآن يا صديقى ، ها قد تبدّلت الأدوار .. وأنا الذى أطالبك بالإفصاح عن هويّتك .

كان المهاجم شابًا فى أواخر العشرينات من عمره ، مستطيل الوجه ، وسيمًا ، له أنف مستقيم ، وعينـان

واسعتان ، ووجه حليق ، وفم صغير ، رفيع الشفتين ، ويميّز ذقنه العريضة طابع الحسن الغائر فى منتصفها .. وكان فى هذه اللحظة يحدّق فى وجه (أدهم) بذهول ويغمغم :

ـ إنك تتحدّث العربية !.. وباللهجة المصرية !!.. هل أنت ؟... هل أنت ؟...

أكمل (أدهم) سؤاله ، مجيبًا إيّاه قائلًا :

ـ نعم يا صديقى .. أنا ضابط مصرى ، فى مهمة خاصّة لمحاولة إنقاذ الباخرة من المختطفين .

تهلّل وجه الشاب وهو ينهض فى سرعة ، ويمدّ يده مصافحًا (أدهم) ، وقائلًا فى لهفة :

ـ كنت أعلم أنهم لن يتركونا .. لا ريب أنك عرفت رتبتى من زيّى الرسمى .. أنا الملازم بحرى (شوق فاضل) .

ابتسم (أدهم) ، وقال وهو يعيد إليه مسدسه :

ـ لو أننا تقابلنا فى ظروف مختلفة ، لقلت لك إننى سعيد بهذا اللقاء يا (شوق) .. أمّا الآن فأنا أريد منك أن تمدّنى ببعض المعلومات عن المختطفين ، وأخبرنى أولًا لماذا ترك الفنّيون غرفة المحركات خالية ؟

قال (شوق) فى أسف :

ـ ليس هناك داعٍ لوجودهم ، ما دام هؤلاء الأوغاد ، يصرّون على إيقاف الباخرة وسط البحر هكذا ..

ورفع رأسه إلى (أدهم) مستطردًا :

ـ الأدهى أنه هناك عاصفة عاتية فى طريقها إلينا ، قد تحطّم الباخرة تمامًا لو لم ....

قاطعه (أدهم) قائلًا :

ـ أعلم أمر العاصفة أيها الملازم .. دعْك منها الآن ، وأخبرنى كم عدد المختطفين ؟.. وأين يتوزّعون بالضبط ؟

قال (شوق) على الفور :

ـ حسبما أعلم فهم خمسة أشخاص ، يحتل ثلاثة منهم ردهة الطعام ، ويسيطرون على ركاب الباخرة تمامًا ، على حين يحتل الباقون كابينة القيادة ، حيث يعتقلان القبطان والمهندس الأوّل للباخرة .. لقد وضعوا خطّتهم فى مهارة ، وسيطروا بذلك على الباخرة تمامًا .

صمت (أدهم) قليلًا ، ثم سأله :

— هل هناك اتصال بين الجانبين ؟.. أعنى هل يتصل محتلو ردهة الطعام بزميليهما فى كابينة القيادة ، والعكس بالعكس ؟.

هزّ (شوق) كتفيه ، وقال :

— لم يحدث شيء من هذا حتى الآن ، ولكن وسيلة الاتصال موجودة ، فكابينة القيادة تتصل بكل مكان فى الباخرة .

أخذ (أدهم) يفكّر قليلاً ، ثم قال :

— حسنًا .. أعتقد أن لدىّ خطّة صالحة إذن .. وسوف أبدأ تنفيذها فور حدوث العاصفة .

ثم نظر إلى ساعته ، وقال مبتسمًا :

— أى بعد ساعة واحدة من الآن .

* * *

نظر القبطان (إيهاب رضوان) ، إلى جهاز الرّادار الخاص بكابينة القيادة ، وزوى ما بين عينيه قلقًا .. فقد كان من الواضح مما ارتسم عليه ، أن هناك زورقًا بخاريًا ضخمًا يقترب من الباخرة ..

شعر القبطان بالأمل والخوف فى آن واحد .. صوّر له الأمل أن هذا الزورق البخارى الضخم ، يضم فريق كوماندوز خاص ، قَدِمَ لإنقاذ الباخرة والقضاء على المختطفين ، وملأه الخوف من أن يؤدى ذلك إلى إصابة ركاب الباخرة بسوء ، وخشى أيضًا أن يلحظ المختطف ، الذى يجلس فى مواجهته ، قدوم الزّورق البخارىّ ، فأوْلَى الرّادار ظهره ، وحاول أن يحجبه عن المختطف ، ثم ازدرد لعابه ، وسأله فى محاولة لشغل انتباهه :

— ماذا تتوقّع ، إذا ما وافقت الحكومة المصرية على تسليمك (يعقوب زافان) ؟

ضحك المختطف ، وقال :

— لن تسلّمنى حكومتكم إيّاه ، بل سترسله فى طائرة خاصة إلى (سويسرا) ، وفور مغادرته أراضيكم ، سأتلقّى إشارة سرّيّة خاصة ، تشير إلى نجاح العملية .

سأله القبطان ، مستمرًا فى محاولة مشاغلته :

— وكيف تتوقّع نجاتك أنت بعد ذلك ؟

فتح المختطف فمه ، وهمّ بالرّدّ على سؤال القبطان ، عندما ارتفع أزيز متقطع من جهاز اللاسلكى ، أعقبه صوت أجشّ ، يقول بالإنجليزية :

— من (شمونا) إلى (عسرا) .. نحن نقترب .. أما زال الحال على ما يرام ؟

اتسعت عينا القبطان والمهندس الأول ذهولاً ، على حين تنهّد المختطف الضئيل فى راحة ، وقفز الضخم من مقعده ، وهو يقول فى مرح :

— ها قد وصل الرّفاق .. ألَمْ تَرَهُمْ على شاشة رادارك اللّعين هذا ، أيها القبطان ؟

استدار القبطان يتطلّع فى دهشة مرة ثانية ، إلى الزّورق البخارى الضخم الذى يقترب ، ثم غمغم وقد نمّ صوته عن تحطّم أمله :

— أهذا الزّورق تابع لكم ؟

أسرع المختطف الضخم يلتقط سماعة جهاز اللاسلكى ، وهو يقول فى سخرية :

— ألَمْ أقل لك ، إننا لا نعرف للفشل طريقًا أيها القبطان الأحمق ؟

ثم أردف فى قسوة :

— مُرْ رجالك بعدم التعرُّض لرفاقنا ، حينما يصعدون إلى سطح باخرتك ، أيها القبطان ، وإلّا تعرّضوا لنيران مدافعهم الرّشاشة .

* * *

ارتفع حاجبا (أدهم) فى دهشة ، وشعر الملازم (شوق) برغبة شديدة فى البكاء ، حينما ارتفع صوت القبطان (إيهاب) ، فى مكبرات الصوت المنتشرة ، يحذّر رجاله من اعتراض طريق القراصنة السبعة ، الذين صعدوا من زورقهم البخارىّ الضخم ، وقفزوا إلى سطح الباخرة ، وهم يحملون المدافع الرّشاشة ، وفوق شفاه كل منهم ابتسامات ساخرة شامتة ..

كانوا يصوّبون مدافعهم إلى بحّارة الباخرة ، ويأمرونهم فى قسوة ، أن يتراصّوا فى صفوف منتظمة .. وسمع (أدهم) من مخبئه ، أحدهم يقول فى سخرية :

— ها قد ارتفعت الأمواج .. إن العاصفة على وشك الهبوب .. إننا آخر من يصعد إلى السطح يا رفاق .

ثم أطلق ضحكة ساخرة عالية ، قبل أن يردف :

— إنه درس يعلّم المصريين كيف أنهم لا يصلحون لمنافستنا .

قال الملازم (شوق) فى غيظ :

— كم أودّ أن أحطّم عنق هذا الوغد ، الذى يسخر منّا فى شماتة .

أجابه (أدهم) فى هدوء :

— من يضحك أخيرًا يضحك كثيرًا ، أيها الملازم .

قال (شوق) فى يأس :

— ولكن وصول هؤلاء القراصنة ، يعنى فشل الخطّة التى وضعتها يا سيادة العقيد .

ابتسم (أدهم) فى سخرية ، وقال :

— من قال هذا يا صديقى ؟..

ثم أردف وهو يتطلّع خلسة إلى القراصنة السبعة ، وقد انتشروا على سطح الباخرة :

— كل ما فى الأمر أن عدد المختطفين قد ارتفع ، من خمسة إلى اثنى عشر ، وأن الأمر قد تحوّل إلى حرب عصابات .

وعاد يبتسم فى سخرية ، وهو يستطرد متهكّمًا :

— وأنا أفضّل هذا النوع من الحروب فى الواقع .

* * *



٥ — عملية طرح ..

سحب أحد القراصنة نفسًا عميقًا من سيجارته ، وقال وهو يضم ياقة معطف المطر السميك الذى يرتديه ، وينفث الدخان الكثيف فى قوة :

— ها قد بدأت العاصفة يا (راءول) .. يقولون إنها ستصل إلى ذروتها فى الرابعة صباحًا .. ألم يستجب هؤلاء المصريون إلى مطلبنا بعد ؟

هزّ رفيقه رأسه نفيًا ، وقال :

— كلّا يا (باهول) .. يبدو أنهم يتميّزون بالعناد أيضًا .

عاد (باهول) يضم ياقة معطفه ، ويسحب الدخان من سيجارته ، وهو يقول فى حنق :

— يا للعاصفة اللعينة !! لقد ارتفعت الأمواج بشدّة ، والباخرة تتأرجح على سطح الماء ككرة تنس الطاولة .. ويقولون إننا فى البداية .

أومأ (راءول) برأسه موافقًا ، وقال :

— هذا صحيح ، فالساعة لم تتجاوز الحادية عشرة بعد ..

مطّ (باهول) شفتيه ، ونفث دخان سيجارته فى عصبية ، قائلًا :

— هل تعلم أنه تراودنى فكرة إطلاق النار على ركّاب الباخرة جميعهم ، والانصراف من هنا ؟.

وفجأة .. سقطت السيجارة من فم (باهول) ، واتسعت عيناه ذعرًا ودهشة ، على حين ارتجف (راءول) فى شدة ، حينما ارتفع وسط ضجيج العاصفة ، ومن خلفهما تمامًا ، صوت قاس بارد ساخر ، يقول فى هدوء وتهكّم :

— أعتقد أن تحطيم أنفيكما ، يعد فكرة أفضل أيها الوغدان .

رفع كلاهما فوّهة مدفعه الرّشاش ، واستدارا فى سرعة خاطفة ، ولكن المدفع الرشاش الذى كان يمسك به

(باهول) ، طار فجأة بعيدًا ، إثر ركلة قوية ، مسدَّدة فى إحكام من قدم (أدهم) ، وسقط المدفع الرَّشَّاش الخاص بـ(راءول) ، حينما هوى (أدهم) بيـــده فى قوة على معصمه .

وهكذا فى أقل من الثانية الواحدة ، أصبح (أدهم) يواجه رجلين أعزلين من السلاح ...

وبرغم الفزع الشديد الذى ملأ قلب (راءول) ، إلّا أنه طوَّح قبضته ، فى محاولة لتسديد لكمة ناجحة إلى فكّ (أدهم) ، الذى انحنى جانبًا فى مهارة ، وتفادى اللكمة ، ثم تحرَّكت قبضتاه فى آن واحد كقذيفتى مدفع ، فغاصت يسراه فى معدة (راءول) ، واندفعت يمناه محطِّمة فكّ (باهول) ، ثم واصلت طريقها لتهبط على أنف (راءول) ، محطِّمة إيَّاه فى صوت مسموع ..

وقبل أن يتأوَّه هذا الأخير ، جذبه (أدهم) من معطفه ، وكال له لكمة ساحقة ، تهشمت لها أسنانه ، ثم حمله وألقى به فوق (باهول) .. وحينما حاول هذا الأخير

النهوض ، سقطت قبضة (أدهم) فوق فكه كالصاعقة ، فارتجف جسده ، ثم همد تمامًا ..

جذب (أدهم) جسد (باهول) إلى حجرة صغيرة قريبة ، وألقاه جانبًا فى لامبالاة ، ثم عاد وجـــذب (راءول) ، فى نفس الوقت الذى سمع فيه صوت الملازم (شوق) ، يقول فى توتُّر :

ـــ لقد حطَّمتهما تمامًا .. لقد تهشَّم فكّ أحدهما و ....

قاطعه (أدهم) ، قائلًا فى سخرية :

ـــ إنه ليس قتالًا أيها الملازم .. إنها فى الواقع عملية طرح .

نظر إليه (شوق) فى دهشة ، وغمغم مردِّدًا :

ـــ عملية طرح ؟!.. ماذا تعنى بهذا المصطلح ؟

ابتسم (أدهم) فى تهكُّم وأجاب :

ـــ أعنى أننا بهذا العمل ، طرحنا اثنين من عدد القراصنة المختطفين ، فأصبحنا نواجه عشرة فقط .

سأله (شوق) فى تردُّد :

ـــ وهل تعتقد أن الاستمرار على هذا المنوال ، قادر على تحقيق نصر ما ، ياسيادة العقيد ؟

صمت (أدهم) قليلًا وهو يقيِّد الرجلين ، ويكمِّم فميهما فى إحكام ، ثم أجاب فى هدوء :

ـــ التخلُّص من القراصنة المنتشرين على السطح ، لا يمثِّل خطرًا أيها الملازم ، إلّا إذا تنبَّـــه لذلك هؤلاء الأوغاد ، الذين يسيطرون على ركاب الباخرة وكابينة القيادة .. هنا فقط يكون الخطر مميتًا .

* * *

تحرَّك القبطان (إيهاب) فى توتُّر ، وقال وهو يقرأ ما سجلته عدَّادات الباخرة :

ـــ إن العاصفة تزداد شدة بأكثر مما هو متوقَّع .. ستصل إلى ذروتها فى الثانية والنصف على الأكثر ..

هزَّ المختطف ضخم الجثة كتفيه فى استهتار ، وقال :

ـــ دَعْها تزداد عنفًا أيها المصلح الاجتماعى ، فهذا يعجِّل بالاستجابة لمطلبنا .

وفى تلك اللحظة ، دقّ أحدهم الباب ، فهبَّ المختطف الضخم صائحًا :

ـــ من بالباب ؟

أجابه صوت غليظ :

ـــ إنه أنا يا (شيلوك) .. أنا (جوزيف) .

احتقن وجه (شيلوك) ، وقال وهو يختلس النظر إلى القبطان :

ـــ ادخل أيها الغبىّ .

دخل رجل متين البنيان ، يحمل مدفعًا رشَّاشًا ، ويقول فى غضب :

ـــ لِمَ تنعتنى بالغباء يا (شيلوك) ؟.. ألَمْ نتلقَّ أوامرنا بأن ....

قاطعه (شيلوك) فجأة ، بأن هوَى على وجهه بصفعة قوية أخرسته ، وقال وهو فى غضب واضح :

ـــ هل تنوى أن تقصّ عليهم كل شىء ؟.. ألَمْ يكْفِكَ أن نطقت بأسمائنا الفعلية ، وكشفت هويتنا ؟

تحوّل غضب (جوزيف) إلى خجل شديد ، وهو يغمغم :

ـــ لقد أفلت ذلك على الرغم منّى يا سيّدى النقيب .. إننى ....

هوَت فجأة صفعة أخرى قوية على وجه (جوزيف) ، وصاح (شيلوك) فى غضب عارم :

ـــ أيها الغبىّ الأحمق .. لا تنطق بكلمة واحدة .. إنك أغبى رجل من رجالى على الإطلاق .

شعر (جوزيف) بارتباك شديد ، وهمهم ببضع كلمات غير مفهومة ، ثم مسح مكان الصفعة ، وهو يقول :

ـــ لقد أتيت لأخبرك ، أننى أبحث منذ نصف ساعة عن (راءول) و (باهول) ، دون أن أجد لأيهما أدنى أثر .

ظهر الاهتمام فجأة على وجه (شيلوك) ، وقال :

ـــ لا تجدهما ؟!.. أين ذهب هذان الوغدان ؟.. ألَمْ آمر بألّا يغادر أحدكم موقعه ؟

أومأ (جوزيف) برأسه موافقًا ، وقال :

ـــ هذا صحيح يا سيّدى .. ولقد حبسنا كل طاقم الباخرة فى حجراتهم ، ولا يوجد رجل واحد منهم على السطح .

صاح (شيلوك) فى غضب :

ـــ واصل البحث عن هذين الحقيرين يا (جوزيف) .. أراهن أنك ستجدهما يجرعان الخمر فى مكان ما .. وإذا ما حاول أحد رجال الطاقم التسلّل إلى السطح ، أطلقوا عليه الرصاص دون تردُّد .

* * *

همس الملازم (شوقى) فى أذن (أدهم) ، وهو يشير من طرف خفىّ إلى ثلاثة من القراصنة ، يتبادلون الحديث على سطح الباخرة وسط العاصفة :

ـــ لن يمكنك التغلّب عليهم هذه المرة يا سيّدى .. إنهم ثلاثة رجال .

ابتسم (أدهم) فى سخرية ، وقال :

ـــ دعْنى أحاول على الأقل أيها الملازم .

قال (شوقى) فى إصرار :

ـــ سنهاجمهم معًا هذه المرّة يا سيّدى .. لن أتركك وحدك .

أومأ (أدهم) برأسه موافقًا ، وقال :

ـــ كما تشاء أيها الملازم .. المهم أن تتحرّك بسرعة ، حينما أعطيك الإشارة ، فهم ينظرون إلى الجانب الآخر ، ولابدّ لنا من مباغتتهم .

أرهف (شوقى) انتباهه ، حتى سمع (أدهم) يقول :

ـــ الآن أيها الملازم .

اندفع الاثنان فجأة من مخبأيهما نحو الرجال الثلاثة ، ولكن أحدهم استدار فجأة ، وهو يواصل حديثه ، فوقعت عيناه على (أدهم) و (شوقى) ، فصرخ فى ذعر :

ـــ هجوم .... احترسوا يا رفاق .. هجـ....

وقبل أن يتمّ عبارته ، كان (أدهم) قد قفز قفزة رشيقة مرنة ، فأصبح أمامه ، وركل مدفعه الرّشاش بعيدًا ، ثم

هشّم فكّه بلكمة ساحقة ماحقة .. وفى نفس اللحظة اندفع (شوقى) نحو رجل آخر ، ولكن الرجل رفع فوّهة مدفعه الرشاش ، وأطلق النار .

اخترقت الرصاصات القاتلة جسد الملازم البحرى الشجاع ، فجحظت عيناه ، ولوّح بكفّيه فى الهواء ، ثم سقط جثة هامدة ، وسُجّل اسمه كأول ضحيّة لهؤلاء القتلة القراصنة ..

شعر (أدهم صبرى) بغضب هائل يسرى فى عروقه ، فاستدار فى سرعة مذهلة ، وحطّم أنف القاتل بلكمة كالقنبلة ، ثم دار على عقبيه فى رشاقة ، مواجهًا الرجل الثالث ، ورفع قدمه ليركل مدفعه الرشاش ، حينما حدث شىء مفاجئ لم يتوقّعه أحد .. ارتطمت موجة عالية قوية بجانب الباخرة ، فارتجت ومالت بشكل مفاجئ ، وشعر (أدهم) برياح العاصفة القوية ترتطم بجسده ، وتدفعه إلى حاجز الباخرة .. وقبل أن يستعيد توازنه ، أطلق الرجل الثالث رصاصات مدفعه الرّشاش ، فانحنى (أدهم)

بصورة غريزية ، محاولًا تفادى الرصاص ، إلّا أنه ارتطم بالحاجز واختل توازنه ، ووجد نفسه يهوى من فوق الباخرة إلى البحر الثائر ، وسط عاصفة لم يرَ لها البحر المتوسط مثيلًا .

* * *

٦ ــ فى أعماق الموت ..

لم تكد أصوات الرصاصات تخترق دوىّ العاصفة ، وتصل إلى مسامع (شيلوك) ، حتى قفز من مقعده متوترًا ، وجذب صمام الأمان بمسدسه ، وهو يلوّح به صائحًا فى عصبية واضحة :

ــ لو أنه اقتحام ، فسأطلق عليكما النار أنت ومهندسك الأول أيها القبطان .. هل تسمعنى ؟.. سأقتلكما فى الحال .

هزّ القبطان كتفيه فى لامبالاة ، وقال :

ــ دعْ عنك ذعرك هذا أيها اللعين .. لا ريب أنه أحد رجالك ، وقد صوّر له الخمر هجومًا وهميًا ..

ثم أشار إلى الأمواج المتلاطمة فى البحر ، وهو يستطرد :

ــ حتى الأسماك تعجز عن السباحة فى مثل هذا الجو العاصف ، فما بالك بفريق من الكوماندز ، داخل زورق صغير .

نظر إليه (شيلوك) فى شك ، ثم رفع مسدسه وصوّبه إليه قائلًا :

ــ لو أنك تحاول خداعى أيها الوغد ، فسأ ....

قاطعه صوت طرقات عالية على باب كابينة القيادة ، فصاح فى توتّر :

ــ مَنْ بالباب ؟

جاءه صوت (جوزيف) ، يقول فى انفعال :

ــ إنه أنا أيها القائد .. لقد حاول اثنان من رجال الطاقم مهاجمة رجالنا ، فقتلناهما .

تهلّلت أسارير (شيلوك) ، وصاح فى مرح ، وهو يفتح الباب لـ (جوزيف) :

ــ هل قتلتاهما ؟.. هذا عظيم .. ولكن كيف تسلّلا من محبسهما ؟

هزّ (جوزيف) كتفيه ، وقال :

ــ إنهما لم يتسلّلا .. يبدو أنهما يختبئان منذ البداية .. عمومًا .. لقد ألقينا جثة الملازم فى المخزن ، أما الآخر فقد سقط فى البحر .

أطلق (شيلوك) ضحكة انتصار عالية ، وقال :

ــ فى البحر ؟! .. يا للهول !! أعتقد أن ذلك الذى لقى حتفه على السطح أكثر حظًا .. فالسقوط فى البحر يشبه احتضان شيطان من الجحيم ، فى مثل هذا الجوّ العاصف .. إننى أعد الرجل الثانى دون شك فى عداد الأموات .. ويالها من ميتة مفزعة !!

* * *

حاول (أدهم) أن يتشبّث بحافة الباخرة ، حينما اختل توازنه ، ولكنه عجز عن ذلك ، بسبب الارتجاج الشديد الذى أصابها ، ووجد نفسه عاجزًا عن تفادى السقوط فى مياه البحر فى قلب العاصفة .. وارتجف جسده فى قوة حينما ارتطم بسطح الماء ، وغاص وسط المياه الثائرة ، التى تقلّب ، وكان البحر المتوسط بأكمله يغلى ويفور فى قوة ..

شعر (أدهم) بجسده كاللعبة وسط الأمواج المتلاطمة ، وعجز عن رؤية ما حوله ، وسط ظلام الليل والمياه الهائجة ، ولكنه أخذ يضرب بساعديه القويين

في عنف وإصرار ، وهو يشعر بالهواء المحتبس في صدره يختزل ويقل ، حتى كاد يختنق ، ولكن إرادته القوية وعضلاته الفولاذية ، اتحدا ليساعداه على الصعود إلى سطح الماء ، ولم يكد يستنشق دفقة من الهواء النقي حتى دفعته موجة قوية ، ليرتطم بجسم الباخرة ...

شعر (أدهم) بدُوار شديد من جرّاء الارتطام ، ولكنه استجمع قوته ، وضرب الماء بساعديه في محاولة يائسة للنجاة .. وفي أعماقه شعر بأنها النهاية ، وأن حياته الحافلة بالمغامرات قد شارفت النهاية ..

وفجأة .. ارتطمت يده بـ (الجنزير) الحديدي القوي المرتبط بالهلب .. وفي الحال استعاد جسده نشاطه ، وتشبّث بـ (الجنزير) في قوة ، ثم أسرع يتسلّق متحدّيًا الرّياح القويّة ، التي حاولت جاهدة إلقاءه في الماء ، والأمواج المتلاطمة التي دفعته أكثر من مرة بغضب ..

وبعث الأمل في نفسه قوة عاتية ، فواصل صعوده حتى نافذة غرفة المحرّكات ، فاستجمع ما بقي له من قوة ، وقفز

داخل غرفة المحرّكات ، ثم ترك جسده يهوي فوق أرضها ، وأخذ يلهث بعض الوقت ، وكأنما شعر أخيرًا بالمجهود الخرافي الذي بذله ، ثم لم تلبث أنفاسه أن استعادت هدوءها ، وجلس متمالكا نفسه ، ثم ابتسم في سخرية ، وهو يقول :

ـــ يا لسوء حظّكم أيها المختطفون !! إن المعركة لم تنته بعد .

* * *

ساد الصمت التام داخل حجرة القيادة بالباخرة ، إلّا من صفير المختطف ، الذي أخذ يغنّي لحنًا عالميًّا معروفًا ، وهو يهزّ ساقيه في هدوء ، ويصوّب مسدسه إلى القبطان (إيهاب) ، الذي جلس واجمًا ، وقد عقد أصابع كفّيه أمام وجهه ، وبدا التفكير مختلطًا بالقلق على ملامحه .. وفي الجانب الآخر من الحجرة ، جلس المهندس الأوّل منتبهًا ، يتابع ببصره حركة ساق (شيلوك) ، ويختلس النظر بين لحظة وأخرى إلى المختطف الآخر ، ضئيل الجسد ،

الذي استند إلى جهاز كشف الأعماق ، وسقط جفناه فوق عينيه ، في مظهر يبعث النعاس في الأجسام ..

كان هناك صراع عنيف يدور في عقل المهندس الأول .. كان يشعر في قرارة نفسه أنه قادر على ركل المسدّس ، الذي يمسك به المختطف الضئيل والقفز ، ثم الاشتباك مع (شيلوك) ، ولكنه لم يكن يعلم أو يستطيع استنتاج نتيجة هذا الصراع ، لكنه يشعر بضرورة حدوثه ....

ويبدو أنه قد حسم تردّده فجأة ، إذ مدّ يده في حذر ، والتقط الميكروفون المعدني الثقيل من فوق المنضدة المقابلة له ، دون أن يرفع عينيه عن (شيلوك) .. ولم يكد يتأكّد من عدم ملاحظته لما حدث ، حتى بدأ الصراع فجأة في جرأة رائعة ..

قفز المهندس الأوّل من مقعده فجأة ، وركل المسدّس الذي يمسك به المختطف الضئيل ، ثم ألقى الميكروفون بكل ما يملك من قوة ، ليصيب المسدّس الذي يمسك به (شيلوك) ، ويطيح به بعيدًا ، ثم استدار في سرعة ، ولكم

الضئيل لكمة قوية ، أعقبها بأخرى ، دفعت المختطف ليرتطم بالحائط في دويّ مرتفع ..

تحرّك القبطان (إيهاب) ، في محاولة لمعاونة مهندس الباخرة ، ولكن (شيلوك) قفز في مرونة ، والتقط مسدسه ، ثم أطلق من فوّهته ثلاث رصاصات في عصبية وتوتّر شديدين ، وهو يصرخ :

ـــ أيها الأوغاد .. أيها الحمقى !!

تسمّر القبطان في مكانه ، وشعر بأسًى ويأس شديدين ، اختلطا بحزن عميق وغثيان ، حينما اخترقت رصاصات (شيلوك) الثلاثة ، جسد المهندس الشجاع ، وترنّح جسد البطل ، واندفعت دماؤه من عنقه وصدره ، ثم سقط جثة هامدة ..

أدار (شيلوك) مسدسه نحو القبطان ، وهو يصرخ في غضب وجنون :

ـــ سأقتلكم .. سأقتلكم جميعًا ، إذا ما حاولت محاولة ثانية .

شعر القبطان بجفاف شديد فى حلقه ، ووجد صعوبة فى التحدُّث ، حتى أن صوته خرج من حنجرته متحشرجًا للغاية ، وهو يغمغم :

ــ لقد قتلت اثنين من رجالى حتى الآن يا (شيلوك) .. لن تفلت بفعلتك القذرة هذه أبدًا .

صرخ (شيلوك) فى قسوة وغضب :

ــ بل ركّابك هم الذين سيلقون حتفهم ، إذا ما حاولت أداء حماقة أخرى أيها القبطان .. هل تسمع ؟ .. سأقتلهم جميعًا .

* * *



٧ ــ الصِّراع ..

أشارت عقارب الساعة إلى الثانية عشرة والنصف بعد منتصف الليل ، حينما أخذت الباخرة (حرية) تتأرجح وسط مياه البحر الثائرة ، وتقاوم الرياح كريشة فى مهبّ الرّيح ، وارتفعت الأمواج إلى حدّ مخيف ، وأصيب معظم الركاب بالدُّوار والغثيان والقىء ، وفقد بعضهم وعيه ..



وعلى السطح وقف ثلاثة من القراصنة يتحدّثون .. كان أحدهم يقول فى غيظ :

ــ لماذا يصرّ (شيلوك) على بقائنا فوق السطح ، فى هذا الجو المزعج ؟ .. ألَمْ يكن من الأفضل أن نختبئ فى أحد الحجرات ؟ .. إننى أخشى أن تجرفنا تلك الأمواج العاتية إلى قاع البحر .

أجابه آخر فى حنق :

ــ إنه لا يشعر بذلك ؛ لأنه يجلس فى كابينة القيادة المكيفة ، بعيدًا عن البرد والرّياح والقلق ..

قال الثالث فى حسرة :

ــ هل تعلمون .. أننى أحسد (بيريز) و (نافون) و (إسحق) .. فهم يختبئون داخل ردهة الطعام ، بعيدًا عن كل هذا ؟

أجابه الأول ، كأنما يحاول إقناع نفسه :

ــ لا تنسَ أنهم أكثرنا تعرُّضًا للخطر .. إنهم يحاولون السيطرة على سبعمائة راكب دفعة واحدة .

أطلق الثالث ضحكة ساخرة ، وقال :

ــ ولا تنسَ أنت أيضًا ، أنهم مدرَّبون على مواجهة

مثل هذا الجوّ العاصف ، وأنهم يسيطرون على سبعمائة راكب مصابين بدوار البحر .

قاطعهم صوت هادئ ، يقول فى لهجة بدت لهم شديدة السخرية :

ــ هناك أنواع أشد وطأة من دُوَار البحر هذا .

استدار الثلاثة فى مزيج من الدهشة والذُّعر ، وتحرّكت مدافعهم الرشاشة ، استعدادًا لتبادل إطلاق النار ، أو القضاء على هذا الدخيل المفاجئ .. ولكن أولهم تلقَّى لكمة أقل ما توصف به أنها ساحقة ، فترنَّح فى قوة ، وأفلت مدفعه الرشاش من يده على الرغم منه .. وحينما حاول التشبُّث بشىء ما ، انزلق فوق سطح الباخرة الذى بلَّلته مياه الأمواج الثائرة ، وارتطم بالحاجز القصير ، ووجد نفسه يهوى إلى المياه العميقة الغائرة ، واختفت صرخة الرعب اليائسة ، التى انطلقت من حنجرته وسط دَوِىّ موجة قوية ، ابتلعته داخل اليمّ ..



أما الثانى والثالث .. فقد فقدا مدفعيهما الرشاشين فى الثانية الأولى من الصّراع ، إثر ركلتين فنيتين رائعتين من قدمى (أدهم) دفعة واحدة .. وقبل أن يستعيد كل منهما رشده ، تلقَّى أحدهما لكمة فى معدته ، انثنى لها جسده ، ثم ثانية فى فكّه ، أجبرته على الاعتدال ، أعقبتها ثالثة كلمح البصر ، هوَت على مؤخرة عنقه كالقنبلة ، أظلمت بعدها الدنيا ، أو ازدادت ظلمة أمام ناظريه ..

أما الآخر .. فقد خُيِّل له أن العاصفة العاتية ، قد

تحوّلت كلها إلى إعصار واحد هبط فوقه تمامًا ، إذ تحطَّم أنفه بلكمة ساحقة ، وتهشّمت أسنانه بأخرى ، ثم تهشّم ضلعان من ضلوعه تحت ضغط قبضة فولاذية ، وغاب عن الوعى ، حين هوت صاعقـة على شـكل لكمة مذهلة ، خلف أذنه تمامًا ...

ابتسم (أدهم) فى سخرية ، وقال وهو يبتعد مسرعًا :

ـ هذا عظيم .. لو أننا أضفنا ذلك الوغد ، الذى كسرت عنقه منذ خمس دقائق ، لكان عدد من طرحناهم خارج العملية ستة أشخاص على وجه الدّقة .

* * *

ألصق (شيلوك) وجهه بزجاج النافذة الزجاجية الكبيرة لغرفة القيادة ، وقد حوّل القلق ملامحه إلى تركيب مشّوه عجيب ، تشمئز له الأنفس ، وخـرج صـوت القبطان (إيهاب) باردًا ، يفيض بالكراهية ، وهو يقول :

ـ إنما العاصفة هى التى خدعتك .. إنها تزداد حدّة كل لحظة ، حتى لأخشى أن تباغتنا بصعود مفاجىء ، يحطِّم الباخرة ، ونذهب جميعًا ضحايا لها .

أشار إليه (شيلوك) فى حدّة أن يصمت ، وقال فى عصبيّة :

ـ صـهْ أيهـا المأفـون .. لا يمكن أن تكون أذنى خادعة .. لقد ميَّزت جيّدًا صرخة رعب انطلقت من مكان قريب ، وأكاد أقسم أنها بصوت أحد رجالى .

ضحك القبطان فى سخرية مريرة ، وهو يقول فى حنق :

ـ بل هو الرُّعب الذى صوَّر لك ذلك .

استدار (شيلوك) نحوه فى غضب ، وصاح فى حِدّة ، وهو يصوِّب مسدسه إليه :

ـ عبارة أخرى مشابهة ، وأرسل بك إلى الجحيم ، خلف مهندسك الأول أيها القبطان اللّعين .

شعر القبطان بغضب عارم ، وفتح فمه ليقول عبارة غاضبة ، ولكنه آثر السلامة ، وأغلق شفتيه ، لائـذًا بالصمت ، وعاد (شيلوك) ينظر فى قلق ، محاولًا فهم سبب هذه الصرخة الملتاعة ، التى خُيِّل إليه أنه سمعها فى وضوح ..

وبينما هو يحاول ، ارتفع صوت طرقات عصبية على باب الكابينة ، فاستدار فى توتُّر ، مصوِّبًا مسدسه إلى الباب ، وصائحًا فى انفعال :

ـ من الطارق ؟

أتـاه صوت (جوزيـف) قلقًـا عصبيًا هو الآخر ، يقول :

ـ إنه أنا أيها القائد .. هناك أمور عجيبة تحدث هنا .

فتـح له (شيلوك) باب الكابينـة ، فاندفـع إلى الداخل ، وهو يقول متوتِّرًا :

ـ هناك من يهاجم رجالنا أيها القائد .. هناك عدوٌّ خفىٌّ على ظهر الباخرة .

توتَّرت أصابع (شيلوك) الممسكة بالمسدس ، وسأله فى عصبيَّة :

ـ ماذا تعنى يا رجل ؟.. أفصح بحقِّ الشيطان .

قال (جوزيف) ، دون أن يفارقه توتُّره :

ـ لقد قمت بجولة على ظهر الباخرة ، ولم أجـد

(شاءول) ولا (حام) ولا (داقيد) فى أماكنهم .. وبينما كنت أبحث عنهم ، عثرت على (موشى) محطّم العنق ، داخل أحد الحجرات الفارغة ، ولم أجد مسدّسه معه .

ظل (شيلوك) صامتًا ، يحدّق فى وجه (جوزيف) ببلاهة بعض الوقت ، ثم صرخ فى عصبيّة :

ـــ إنهم يتصيّدوننا واحدًا بعد الآخر .. إنهم يقتلون رجالنا .. لقد صعدوا إلى سطح الباخرة ، دون أن نشعر يا (جوزيف) .

ثم استدار ، وأسرع يتناول ميكروفون الاتصالات الداخلية ، وهو يصرخ :

ـــ ولكننى لن أسمح لهم بالانتصار .. سآمر رجالنا بقتل كل الركاب فى ردهة الطعام .. سأحوّل العملية إلى مذبحة ، مادام المصريون قد بدءُوا التحدّى .

* * *

٨ ـــ شـيطان البحـر ..

ربما كان أفضل سرد للحظات التى تلت عبارة (شيلوك) الغاضبة هذه ، هو ما جاء فى تقرير القبطان (إيهاب رضوان) ، فقد قال إنه كان يقف على بعد مترين من (شيلوك) ، ويواجه نافذة الكابينة الزجاجية ، وأنه شعر بغضب شديد ، حينما أصرّ هذا الأخير على قتل الركاب جميعهم ، ولكن غضبه لم يلبث أن تحوّل إلى مزيج من الخوف والذهول ، حينما خُيّل إليه أنه يرى رجلًا فى زىّ ضابط بحرى ، يندفع نحو النافذة الزجاجية فى جسارة مذهلة ، وأن النافذة تحطّمت تحت ثقله فى دوىّ شديد ، وتناثر زجاجها ، حتى أنه (أى القبطان) قد اضطر لحماية عينيه ووجهه بساعده ، خشية إصابتهما بشظايا الزجاج ، ولكن رأى فى وضوح رجلًا قوى البنيان ، وسيم الطّلعة ، عريض المنكبين ، ينقض على المختطفين كالشيطان ، مستغلًا

حالة الذهول التى أصابت ثلاثتهم ، فركل المسدس الذى يمسك به (شيلوك) ، وهوى بحافة يده على معصم (جوزيف) ، فأطار مسدسه هو الآخر بعيدًا ، ثم استدار فى لمح البصر ، وأطلق من مسدس يمسكه بيسراه رصاصة واحدة ، أطاحت بمسدس الرجل الضئيل ..

وقبل أن يفيق أحدهم من ذهوله ، حطّم أنف (جوزيف) بلكمة ساحقة ، خرج لها صوت كفرقعة الأخشاب وهى تتكسّر ، ثم غاص بقبضته اليمنى فى معدة (شيلوك) ، الذى جحظت عيناه وتأوّه آهة عالية مزعجة ، ولكن الشيطان كتم آهته بلكمة أخرى ، اندفعت بعدها الدماء غزيرة من فم (شيلوك) ، وسقطت بعض أسنانه .. وفى هذه الأثناء كان الضئيل قد استعاد مسدسه ، وأطلق النار محاولًا إصابة الرجل الذى يرتدى زىّ ضابط بحرى ، إلّا أن الرصاصة أخطأت طريقها واخترقت مؤخرة عنق (شيلوك) ، فأردته قتيلًا على الفور .

وحاول الضئيل إطلاق رصاصة ثانية ، ولكن الضابط البحرى عاجله برصاصة صائبة ، مرقت بين عينيه ، فسقط قتيلًا على التوّ ، وبعدها جذب الشيطان (جوزيف) من سترته ، والصق مسدسه بجبهته ، فصرخ هذا الأخير ، والدّماء النازفة من أنفه المحطم تغطى فمه وشفتيه :

ـــ الرّحمة !! الرّحمة !! إننى أستسلم .. سأفعل ما تريد .. الرّحمة !!

إلى هنا ينتهى تقرير القبطان ، فى واقعة اقتحام (أدهم صبرى) لكابينة القيادة .. وحتى تكتمل الصورة أمام القارئ ، نعود إلى نفس النقطة لنتابع الأحداث ...

ابتسم (أدهم) ابتسامة ساخرة ، وقال وهو ينظر فى عينى (جوزيف) بقسوة :

ـــ ستخبرنى بكل ما أريد معرفته أيها الوغد .. أليس كذلك ؟

أومأ (جوزيف) برأسه إيجابًا ، وهو يقول متوسّلًا :

ـــ نعم أيها السيِّد .. أقسم لك أن أفعل .. سَلْنى عما تريد ، أُجبْك بكل أمانة .

أسرع القبطان إلى (أدهم) ، وسأله فى لهفة :

ـــ فى أى جانب أنت ؟

أجابه (أدهم) ، وهو يدفع (جوزيف) فوق أحد المقاعد :

ـــ اطمئن أيها القبطان .. أنا ضابط مصرى ، أسندت إلىَّ مهمة إنقاذ الباخرة ، والقضاء على كل هؤلاء الأوغاد .

تهلّلت أسارير القبطان ، وفاضت ملامحه بالأمل ، وهو يصيح فى سعادة :

ـــ حمدًا لله .. أين باقى الكوماندوز ؟.. أين هم ؟

ابتسم (أدهم) قائلًا فى تهكُّم :

ـــ ها هم أولاء جميعًا أمامك أيها القبطان .. ستضطر مع الأسف إلى قبول الموجود ..

نظر إليه القبطان فى ذهول ، وغمغم :

ـــ رجل واحد ؟!!.. هل أرسلوا رجلًا واحدًا ؟

ابتسم (أدهم) فى سخرية ، وقال :

ـــ هذا أفضل من لا شىء .. أليس كذلك ؟

صاح القبطان ، وقد بدأ أمله يخبو :

ـــ ولكن هذا مستحيل .. هناك اثنا عشر رجلًا من المختطفين على ظهر الباخرة .. لن يمكن مطلقًا لرجل واحد أن ....

قاطعه (أدهم) قائلًا :

ـــ معذرة أيها القبطان ، ولكننى أُحبّ تصحيح معلوماتك ، فلم يبق على ظهر الباخرة سوى ثلاثة رجال فقط ، يمكننا أن نخشاهم ، وهم أولئك الذين يحتلون ردهة الطعام ، ويهدّدون الرُّكاب .. أما الباقون فقد تولّيت أمرهم .

نظر إليه القبطان و (جوزيف) فى ذهول ، وقال الأول :

ـــ هل .. هل قضيت وحدك على تسعة رجال ؟

هزّ (أدهم) كتفيه فى لامبالاة ، وقال :

ـــ دعْنا من هذه التوافه أيها القبطان ، ولنركز اهتمامنا فيما يفيد .

ثم جذب (جوزيف) فى قسوة ، وسأله :

ـــ مَنْ مِنَ الأوغاد يحتل ردهة الطعام ؟

صاح (جوزيف) ، وهو يرتجف رعبًا :

ـــ (بيريز) و (نافون) و (إسحق) .

سأله (أدهم) فى لهجة هادئة :

ـــ ما الأوامر التى تلقَّوها بالضبط ؟

ظهر التردُّد والخوف على وجه (جوزيف) ، ولكن (أدهم) سأله فى حسم :

ـــ أجب إذا أردت الاحتفاظ بجمجمتك خالية من الثقوب أيها الوغد .

قال (جوزيف) ، وهو يمسح الدّماء التى تتدفّق من أنفه :

ـــ لقد أسندت إليهم مهمة احتلال ردهة الطعام ، والسيطرة على الرُّكّاب السبعمائة ، حتى الثانية صباحًا .

قاطعه (أدهم) ، متسائلًا فى صرامة :

ـــ ولكنكم منحتمونا مهلة حتى الثانية والنصف ظهرًا .

أومأ (جوزيف) برأسه مؤمّنًا ، ثم قال وهو يرتعد خوفًا من نظرات (أدهم) القاسية :

ـــ هذا صحيح ، ولكنهم يعلمون أنّ العاصفة ستصل إلى ذروتها فى الثالثة والنصف ، وما لم تذعنوا لمطلبنا حتى ذلك الحين ، فلن يكون باستطاعتنا السيطرة على الباخرة لأكثر من ذلك .

صمت (أدهم) قليلًا ، ثم سأله فى صرامة :

ـــ أنت من (الموساد) .. أليس كذلك ؟

تردَّد (جوزيف) وبدا الرعب على ملامحه ، ولكن (أدهم) جذبه من سترته فى قوة ، وسأله فى صوت يَجْمُدُ له الدّم :

ـــ أليس كذلك أيها الوغد ؟

قال (جوزيف) فى توسُّل :

ـــ لن يمكننى يا سيِّدى .. أقسم لك .. لن يمكننى الإفصاح عن ذلك .

جذب (أدهم) إبرة مسدسه ، قائلًا فى هدوء :

— هل تفضل الإفصاح به لزبانية الجحيم إذن حيث أرسلك ؟

تردَّد (جوزيف) لحظة ، ثم أطرق برأسه ، وقال فى صوت هامس كسير :

— بلى يا سيِّدى .. إننى كذلك .. كلُّنا كذلك .

ثم رفع رأسه ، وقال فى ضراعة :

— ولكن دولتنا لن تعترف بذلك مطلقًا ، حتى ولو اعترفنا نحن .. إننا فريق خاص ، ليس لنا حتى سجلَّات هناك .

تدخَّل القبطان فجأة ، وسأله :

— مهلًا أيها الوغد .. إنك تقول إن أوامركم تقضى بسيطرتكم على ركَّاب الباخرة ، حتى الثانية صباحًا .. ماذا يحدث بعدئذ ؟

ازدرد (جوزيف) لعابه ، ونظر إلى (أدهم) فى توسُّل قائلًا :

— لست أنا الذى يصدر الأوامر يا سيِّدى .. أنا أنفِّذها فقط .. أنت تعلم هذا .. أليس كذلك ؟

جذبه (أدهم) من سترته ، وسأله فى حِدَّة :

— لِمَ لا تجيب عن الأسئلة الموجَّهة إليك فقط ، بدلًا من المحاورة والمداورة طول الوقت ؟

شحب وجه (جوزيف) ، وقال متلعثمًا :

— إن الأوامر تقضى بالسيطرة على الركَّاب حتى الثانية ، ثم ... ثم قتل راكب واحد كل نصف ساعة بعد ذلك ، حتى يُجاب مطلبنا .

جرت دماء الغضب فى وجه (أدهم) ، وهو يغمغم فى كراهية :

— أيها القتلة السفاكون ..

أسرع (جوزيف) يحمى وجهه بكفَّيه ، صائحًا :

— لقد قلت لك أيها السيِّد إننى لا ألقى الأوامر .. رحماك !!

شعر (أدهم) بتوتُّر شديد وهو ينظر فى ساعته ، وكذلك فعل القبطان ، ثم لم يلبث أن صاح فى جزع :

— يا إلهى !! لن يمكننا إنقاذ ضحيَّتهم الأولى .. إنها الثانية إلَّا الربع فقط .. ستبدأ المذبحة الدَّمويَّة بعد ربع ساعة من الآن .

* * *



٩ — دماء على الباخرة ..

رفع مدير المخابرات المصرية يده بالتحية العسكرية فى قوة ، أمام رئيس الجمهورية ، الذى سأله فى اهتمام بالغ :

— هل وصلتك رسائل من رجلك (ن — ١) ؟

أومأ مدير المخابرات برأسه إيجابًا ، وقال وهو يناول رئيس الجمهورية برقية مطويَّة :

— نعم يا سيادة الرئيس .. لقد تلقَّت أجهزتنا برقية من الباخرة ، أوضحت أن (أدهم) نجح فى تحقيق الجزء الأوَّل من الخُطَّة .

فضَّ رئيس الجمهورية البرقية فى اهتمام ، وقرأها بسرعة ، ثم هزَّ رأسه ، وقال :

— عجيب هذا الرجل .. إنه معجزة كما تقول تمامًا أيها اللواء .. لقد نجح فى التخلُّص من كل الإرهابيين ، الذين يحتلُّون سطح الباخرة ، وكذلك كابينة القيادة ، على حين

لم يشعر الثلاثة الآخرون داخل ردهة الطعام بشىء من ذلك .. الأمور تسير على ما يرام حتى هذه اللحظة .

ابتسم مدير المخابرات ، وقال :

ـ لقد قرَّر بالاتفاق مع القبطان أن تبدأ الباخرة سيرها ، فى محاولة للخروج من قلب العاصفة ببطء شديد ، حتى لا يشعر المختطفون بذلك ، حتى يتسنَّى له القضاء على الباقين منهم .

مطَّ رئيس الجمهورية شفتيه ، وقال :

ـ أمامه الآن أخطر جزء فى المهمة .. إنقاذ حياة الرهائن ، والقضاء على الإرهابيين الثلاثة فى نفس الوقت .. هل تعتقد أنه سينجح ؟

عَبَّرت ابتسامة مدير المخابرات عن ثقته الشديدة فى (أدهم) ، وهو يقول :

ـ لو أن سيادتك تعرفه مثلى ، ما سألت هذا السؤال يا سيادة الرئيس .

قطَّب رئيس الجمهورية حاجبيه ، وهزَّ رأسه ، وكأنه يفكِّر فى أمر ما ، ثم قال :

ـ ولكنه يقول إن الإرهابيين سيقتلون راكبًا كل نصف ساعة ، اعتبارًا من الثانية ، وهذا أمر بالغ الخطورة .. هل سيلجئون إلى هذه الطريقة الوحشية بالفعل ؟

نظر مدير المخابرات فى ساعته ، وقال فى قلق :

ـ الله (سبحانه وتعالى) وحده ، يعلم مدى ما يمكن أن يقدم عليه هؤلاء الوحوش يا سيادة الرئيس .. ولكن لو أنهم سيفعلون ، فهذا يعنى أن الضحيَّة الأولى قد سقطت بالفعل ، فساعتى تشير إلى الثانية والربع .. إلَّا إذا كان (ن ـ ١) قد أحسن التصرُّف كما أرجو .

* * *

أشار عقربا ساعة (أدهم) إلى الثانية إلَّا خمس دقائق ، عندما قال قبطان الباخرة :

ـ لقد خرج رجال الطاقم جميعهم يا سيِّدى القبطان ، دون أن يشعر بهم هؤلاء الأوغاد الثلاثة فى ردهة الطعام ،

وعليك أن تبدأ فى تحريك الباخرة ، والابتعاد عن قلب العاصفة بسرعة .

قال القبطان :

ـ لقد اتخذت كل الاستعدادات اللازمة لذلك يا سيادة العقيد .. كُن مطمئنًا .

استدار (أدهم) إلى (جوزيف) ، وسأله فى صرامة :

ـ بأىّ لغة يتمّ تبادل الأوامر ؟.. أبالعبريَّة أم بالإنجليزية ؟

أجاب (جوزيف) باستسلام :

ـ بالإنجليزية يا سيِّدى ، حتى لا ينكشف أمرنا .

قال (أدهم) للقبطان :

ـ صِلْنى بردهة الطعام أيُّها القبطان .. سأتحدَّث إلى هؤلاء المختطفين الأوغاد .

أسرع القبطان يطيع الأمر ، ولم يكد مصباح الجهاز يعلن حدوث الاتصال ، حتى اتسعت عينا (جوزيف) والقبطان دهشة ، فقد خرج صوت (أدهم) شبيهًا

بصوت (جوزيف) فى مرونة صوتية عجيبة ، وسمعوه يقول بالإنجليزية ذات النَّبرات العبريَّة :

ـ هنا قائد العملية .. أنصتوا يا رفاق .. لقد انتهى كل شىء .. هل تسمعون ؟.. لقد وافق المصريُّون على تنفيذ مطلبنا .. لم يعُد هناك مبرِّر لقتل الرهائن .

* * *

جلجل صوت (أدهم) فى ردهة الطعام ، عَبْر أجهزة الاتصال المختلفة ، فأطلقت مشاعر شتى ، إذ انخرط بعض الرُّكاب فى البكاء ، غير مصدِّقين أن الأمر قد انتهى .. وصرخ آخرون فى سعادة ، وتنهَّد الباقون ارتياحًا .. أمَّا رجال (الموساد) الثلاثة ، فقد تبادلوا نظرات الشك والتساؤل ، ثم صاح (إسحق) فى الرُّكاب :

ـ فليلزم كل منكم الصَّمت ، وإلَّا أخرستكم رصاصات مسدسى .

عاد الصمت والقلق يسيطران على الرُّكاب ، وهم

يتطلعون إلى (إسحق) فى مزيج من الخوف والدهشة ، على حين اقترب (نافون) من جهاز الاتصال ، وسأله فى لهجة تنمُّ عن الشك :

ــ من أنت أيها الرجل ؟.. وماذا تعنى بقولك إن كل شىء قد انتهى ؟

تظاهر (أدهم) بالمرح ، وهو يقول بنفس الصوت واللهجة :

ــ أيهم أنت ؟.. (بيريز) أم (إسحق) أم (نافون) .. ألم تعرف صوتى يا رجل .. أنا (جوزيف) .

قطّب (نافون) حاجبيه فى شك ، وقال :

ــ (جوزيف) من ؟

وضع (أدهم) يده فوق الميكروفون ، والتفت إلى (جوزيف) ، وقال فى غضب :

ــ هل خدعتنا أيها الوغد ؟..

صاح (جوزيف) فى هلع :

ــ لا يا سيِّدى .. أُقسم لك .. إنهم فقط لا يتوقَّعون أن أجيبهم أنا .

نظر إليه (أدهم) شذرًا ، ثم عاد يقول بنفس اللهجة المرحة الملفقة :

ــ ألا تعرفنى يا صديقى ؟.. أنا زميلكم (جوزيف) .

سأله (نافون) :

ــ لماذا لم يتحدَّث إلينا (شيلوك) كالمفروض ؟

أجابه (أدهم) فى هدوء :

ــ لقد ذهب ليتأكَّد من وجود كل من رجالنا فى موقعه ، و ....

قاطعته ضحكة ساخرة أطلقها (نافون) ، وسمع صوته الأجشّ الشرس يقول :

ــ أخطأت أيها الرجل .. إن الأوامر تقضى بألا يغادر (شيلوك) موقعه ، أيًا كانت الأسباب ، وإذا ما اضطر إلى ذلك ، فلابدّ له من أن ينبِّهنا أولاً .. ثم إنه هناك كلمة سرّ ، متفق عليها فى بدء الحديث .. أنت مخادع .. لقد اقتحمتم الباخرة ، وقتلتم رفاقنا ، وسنردّ لكم الكيل كيلين .

قال (أدهم) فى قلق :

ــ أنت مخطئ يا صديقى ، إننا جميعًا بخير .. كل ما فى الأمر أن ....

قاطعه (نافون) صائحًا :

ــ صَهْ أيها المصرى المخادع .. لقد تجاوزت الساعة الثانية ، وسنرسل لكم الهدية الأولى .

صرخ (أدهم) متخليًا عن محاولته :

ــ سأقتلك لو أنك مسَسْتَ راكبًا واحدًا .. هل تسمعنى ؟..

ــ سأمزقك إربًا لو أنك حاولت .

سمع (أدهم) جواب (نافون) ، على هيئة قهقهة عالية ساخرة ، وسمعه يصيح فى (بيريز) :

ــ أحضر أحد الرُّكاب يا (بيريز) .. لا .. دعْ هذا الرجل ، وأحضر لى تلك الشابة الجميلة .

سمع (أدهم) فى ألم صراخ فتاة ، ينمُّ صوتها عن أنها لم تتجاوز العشرين .. كان صراخها يعبِّر عن رعب شديد ، واختلط بضحكات جنونية ، أطلقتها حناجر الوحوش

الثلاثة ، وسمع (أدهم) صوت (نافون) ، يقول فى سخرية وحشية :

ــ اسمع جيِّدًا أيها المصرى .. لتعلم أننا لا نتراجع عن تنفيذ تهديداتنا .

وفى ردهة الطعام جذب (نافون) الفتاة الإسبانية المذعورة ، التى لم تتجاوز عامها العشرين بعد ، وألصق فوهة مسدسه بصدغها ، غير مبال بصراخها وتوسُّلاتها ، ولا بدموعها الغزيرة ، التى انهمرت من عينيها الجميلتين فى رعب .. وفى هدوء وحشى ضغط زناد مسدسه ، واخترقت الرصاصة رأس الفتاة المسكينة ، وتناثرت دماؤها فى ردهة الطعام .

* * *

١٠ ـ ثورة الشيطان ..

أغلق (أدهم صبرى) عينيه فى ألم واشمئزاز ، حينما وصل إلى مسامعه صوت طلقة الرّصاص ، التى اختلطت بصراخ الرُّعب ، من أفواه الرُّكّاب وضحكات الإرهابيين الوحشية ، ووضع الميكروفون قاطعًا الاتصال فى قوة وهو يغمغم :

ـ الأوغاد .. لن أغفر لهم وحشيتهم هذه .. لن أغفرها لهم أبدًا .

شعر القبطان برغبة شديدة فى القئ ، ودار رأسه من شعوره بالغثيان ، على حين شحب وجه (جوزيف) ، وصاح :

ـ لست مسئولًا عن ذلك .. لست مسئولًا عمّا فعلوه .

نظر إليه (أدهم) فى اشمئزاز ، ثم جذبه من سترته فى عنف ، وسأله فى قسوة :

ـ ما نوع الأسلحة التى يحملها رفاقك ؟

صاح (جوزيف) فى رعب :

ـ مسدسات فقط ، من نوع (الموريس) ذى الساقية الدوّارة ، التى تحمل ثمانية رصاصات فقط .

عاد (أدهم) يسأله فى حدّة :

ـ هل يحملون ذخيرة إضافية ؟

أجابه :

ـ نعم .. كل منهم يحمل قنبلة من نوع النابالم الحارقة .

دفعه (أدهم) فى قوة ، وقال :

ـ كنت أودّ قتلك ، مقابل عدم إخبارى بأمر العبارة السرّيّة التى تبدأ بها المحادثة ، ولكننى لست مثلكم ، فنحن نكره قتل العُزّل .

ثم استدار إلى القبطان ، وسأله :

ـ هل يوجد مدخل آخر لردهة الطعام ؟

هزّ القبطان رأسه نفيًا ، وقال :

ـ كلّا للأسف ، ولكن توجد عشر نوافذ على الأقل ، تطل اثنتان منها على سطح السفينة ، والثمانية الأخرى على البحر .

أطرق (أدهم) مفكرًا ، ثم قال :

ـ وهل يمكن تحديد موقع كل من الإرهابيين الثلاثة على وجه الدّقة ؟

قال القبطان :

ـ بلا شك .. إن أحدهم يقف خلف الباب ، والآخر بين المطبخ وردهة الطعام ، والثالث فوق منصّة فريق الموسيقى .. لقد أخبرنى (شيلوك) هذا بنفسه ، من خلال شرحه ، كيف أنه من المستحيل هزيمتهم .

سأله (أدهم) :

ـ هل لديك خريطة توضّح موقع كل نقطة فى ردهة الطعام ، بما فى ذلك النوافذ العشرة ؟

أجابه القبطان فى قلق :

ـ نعم .. ولكن إلام تهدف بالضبط ؟

أخرج (أدهم) مسدسه ، وأخذ يتأكّد من حشوه فى هدوء ، وهو يقول دون أن ينظر إلى القبطان :

ـ يا له من سؤال سخيف أيها القبطان !! إننى أنوى اقتحام ردهة الطعام ، وقتل هؤلاء الأوغاد الثلاثة بالطبع .

* * *

انكمش ركّاب الباخرة فى رعب ، وجحظت عيونهم ، وقد تضاعف فزعهم آلاف المرات ، بعد أن حطّم (نافون) رأس الفتاة المسكينة برصاص مسدسه ، وبدت من بعضهم حركات تشير إلى قرب حدوث تمرُّد ، فنزع (نافون) فتيل قنبلة النابالم الحارقة التى يحملها ، وصاح فى قسوة :

ـ فليحاول أحدكم قتالنا ، وأقسم أن أجعله يحترق كفتيل من القطن ، مغموس فى الزيت حتى آخره .

ازدادت حالة الرُّعب بعد هذا التصريح ، وأخذ العديدون يبكون فى شبه انهيار ، على حين اقترب (بيريز) من (نافون) ، وسأله فى قلق :

— هل يعنى ما حدث أن المصريين اقتحموا الباخرة ، وقتلوا رفاقنا حقًّا يا (نافون) ؟.. وماذا يكون مصيرنا إذن ؟

زجره (نافون) فى حِدَّة ، وقال :

— لن يوقعوا بنا يا (بيريز) ، حتى لو اضطررت لقتل هؤلاء الركاب واحدًا بعد الآخر ..

سأله (بيريز) :

— وماذا عن العاصفة ؟.. إنها الثانية والنصف الآن ، ولقد أصابنى الدُّوَار من كثرة ما تتأرجح هذه الباخرة اللعينة ، وكأنها مركب من ورق على سطح وعاء ، وبه طفل أخرق .

زوى (نافون) ما بين حاجبيه ، وقال فى حِدَّة :

— سأضطرّهم لتركنا .. سأضطرّهم إلى ذلك .

ثم قفز فى عصبية ، وجذب طفلاً صغيرًا من صدر أمه ، وصعد به إلى منصَّة الغرفة الموسيقية ، وجذب ميكروفون الاتصال بينه وبين كابينة القيادة ، وصاح فى شراسة جنونية :

— فليستمع إلىَّ الجميع على السطح .. لقد قرَّرنا قتل راكب كل ربع ساعة فقط ، ما لم يتم نقلنا إلى زورقنا البخارىّ .. هل سمعتم ؟.. راكب كل ربع ساعة .. وبين يدى الآن طفل فى السابعة من عمره .

وفى غمرة شراسته ، وضع مسدسه على رأس الطفل ، وأطلق النار ...

صرخت أم الطفل فى هلع ، وسقطت فاقدة الرُّشد ، وتقيأ بعض الرُّكَّاب من فرط الاشمئزاز ، وفقدت بعض الراكبات وعيهنّ ، على حين دوَّى صوت (أدهم) عَبْرَ أجهزة الاتصال ، صائحًا :

— سأقتلك أيها الوغد .. سأقتلك حتى لو كان هذا آخر عمل فى حياتى .

* * *

— هل أنت مجنون ؟.. إن ما تقوله مستحيل تمامًا .. مستحيل بكل المقاييس .

صاح القبطان بهذه العبارة ، وهو يحدِّق فى وجه

(أدهم) بدهشة ، على حين هزَّ هذا الأخير كتفيه ، وقال :

— ليس هناك سوى ذلك أيها القبطان .. لقد فقد هؤلاء الأوغاد رشدهم ، وسيقتلون الرُّكَّاب بلا رحمة ، وأنا أفضِّل قتلهم هم بالطبع ودون تردُّد .

ضرب القبطان منضدته بقبضته ، صائحًا :

— هل تعلم ماذا يعنى اقتحام ردهة الطعام .. يعنى أن تكون مضطرًا لقتل ثلاثة رجال فى أقل من ثانيتين ، وإلَّا مزَّقتك رصاصاتهم .. هذا بالإضافة إلى احتمال أن يلقى عليك أحدهم قنبلة حارقة ، ويقتلك محترقًا .. ثم إنهم يتوقَّعون محاولة الاقتحام ، وستفتقد عنصر المفاجأة .

مطَّ (أدهم) شفتيه ، وقال :

— يمكننى أن احتفظ بعنصر المفاجأة ، لو أننى هاجمتهم من مكان لا يتوقَّعونه مطلقًا .

صاح القبطان :

— أى مكان هذا ؟..

قال (أدهم) فى هدوء :

— أحد النوافذ المطلَّة على البحر .

بهت القبطان ، واتسعت عيناه وهو يحدِّق فى وجه (أدهم) مذهولًا ، ثم غمغم :

— هل تدرى معنى ما تقول ؟.. إن معناه أن تتعلَّق خارج الباخرة ، وسط عاصفة لم أرَ لها مثيلًا ، منذ عملى فى البحرية التجارية من ثلاثين عامًا .. ستقتلعك الرِّياح والأمواج ، كما تقتلع نفخة قوية ذرَّة من الرمال من فوق سطح أملس .

مال (أدهم) إلى الأمام ، وقال فى صوت بارد يحمل فى طيَّاته ثورة مكبوتة :

— لا تحاول أيها القبطان .. سأنفِّذ هذا الاقتحام مهما كانت درجة المخاطرة .. سأفعل المستحيل للقضاء على هؤلاء الأوغاد الثلاثة ، قبل أن تسقط قطرة دم واحدة أخرى من الرُّكَّاب ..

شعر القبطان بثورة (أدهم) العارمة ، فقال فى صوت خافت :

ـــ ليكن أيها العقيد .. افعل ما يحلو لك .

نظر (أدهم) فى ساعته ، وقال :

ـــ أعتقد أنه من الأفضل أن أبدأ على الفور ، فسيقتل هؤلاء الأوغاد ضحيَّة بريئة أخرى بعد عشر دقائق ، وأنا أنوى منع ذلك .

سأله القبطان ، وهو يسرع إلى السطح :

ـــ هل لديك ذخيرة كافية .. إن مسدسك لا يحوى سوى أربع رصاصات ، بعد أن أطلقت اثنتين على المختطف الضئيل و ....

قاطعه (أدهم) ، قائلًا فى لهجة جافة :

ـــ لست بحاجة لأكثر من ثلاث رصاصات ، حينما يتعلَّق الأمر بثلاثة أوغاد أيها القبطان .. وهذا لا يعنى أننى أنوى ترك أحدهم حيًّا .

* * *

١١ ـــ الاقتحام ..

تأرجح الحبل السميك ، الذى أدلى به (أدهم) على جانب الباخرة فى قوة ، إثر الرياح القوية والأمواج الشديدة ، التى ترتطم بجانب الباخرة فى قسوة وغلظة ، وتؤرجحها فوق سطح البحر كاللُّعبة ..

وقال القبطان (إيهاب) ، وهو يتشبَّث بحاجز الباخرة فى قوة ، ويضم سترته ، خشية أن تلقى به الرياح فى أعماق البحر الثائر :

ـــ مازلت أصرّ على أنك تلقى بنفسك فى فم الموت ، أيها العقيد .

تجاهل (أدهم) عبارة القبطان ، وقال وهو يمسك الحبل فى قوة ، ويُدلى ساقيه خارج حاجز الباخرة :

ـــ لم تعد أمامنا سوى دقائق خمس أيها القبطان ، وسوف أهبط على الفور .. تمنَّ لى التوفيق .

وقبل أن يفتح القبطان فاه بكلمة واحدة ، كان (أدهم) قد انزلق ، متشبثًا بالحبل على جانب الباخرة ، فغمغم القبطان فى مزيج من الدهشة والأسف والإعجاب :

ـــ ياله من رجل !! إن الموت نفسه ليستحى أن يأخذه على غرَّة .

لم يسمع (أدهم صبرى) عبارة القبطان ، إذ كان يتشبَّث بالحبل بكلتا قبضتيه ، وهو ينزلق فى بطء ، معتمدًا بقدميه على جانب الباخرة ، على حين ترتطم به الأمواج فى إصرار ، تحاول أن تدفعه ليرتطم بالباخرة ، وتحاول الرياح جاهدة انتزاعه من مكانه ، والتطويح به فى قاع البحر ، وهو يقاوم هذا وذاك فى قوة حديدية ، وإرادة فولاذية ..

كان جسده يعجز فى بعض اللحظات عن تحدى الرياح ، فيجد نفسه يبتعد عن الباخرة ، ثم لا تلبث الأمواج أن تلطمه ، فيعود إلى موضعه الأول ، وهنا تعاود الرياح دفعه .. وهكذا دواليك ، حتى بدا وكأنه يقفز فوق جانب

الباخرة كحيوان (كنجارو) فوق سطح رأسى ، وشعر بآلام شديدة فى كفيه وساعديه ، ولكنه لم يشأ أن يتخلَّى عن معركته .. لم يكن لديه بديل عن النصر .. ولكن كيف ؟ ..

وبرغم خطورة الموقف وشدة العاصفة ، إلا أن (أدهم) أرخى قبضتيه قليلًا ، وترك جسده ينزلق فى سرعة تمثِّل خطورة قصوى ، وهو يقترب من النوافذ الثانى لردهة الطعام ، والتى تطلُّ على البحر الثائر ..

وفى مهارة مذهلة وسط العاصفة المرعبة ، انزلق (أدهم) بين نافذتين متجاورتين ، وبذل مجهودًا رهيبًا ، ليتشبَّث فى إطار إحداهما ، ويتطلَّع خلسة من خلال الثانية ...

رأى (أدهم) من النافذة وجوهًا شتَّى ، يكسوها الرُّعب والفزع ، ورأى (بيريز) و (إسحق) و (نافون) .. وشعر بمقت شديد يملأ نفسه قوة ، عندما رأى هذا الأخير يجذب امرأة من شعرها ، وهو يضحك فى جنون ، ويرفع صمام الأمان من مسدسه ، والمرأة المسكينة

تصرخ فى رعب وهلع ، وتتوسَّل فى بكاء ونحيب ، دون أن تبدو أدنى ملامح الشفقة على وجه (نافون) المتحجِّر ...

شعر (أدهم) بكراهية شديدة تملأ كيانه ، حتى أنه لم يشعر كيف تخلَّى عن الحبل السميك بأحد قبضتيه ، وانتزع بها مسدسه ، وسط الرِّياح القوية والأمواج العاتية ، ثم دفع جانب الباخرة بقدميه فى قوة ، فابتعد عنها ، ثم عاد يندفع فى قوة نحو إحدى النوافذ الزجاجية ، وقد امتلأت ملامحه بكراهية لم يعهدها فى نفسه طيلة حياته الحافلة .

* * *

نظر (نافون) فى ساعته بعصبيَّة ، ثم صاح فى توتُّر وشراسة :

ـــ حان وقت الضحيَّة الثالثة أيها السادة .. إن حكومتكم لم تستجب لمطلبنا بعد ، وسيقع عبء دمائكم على رأسها .

ارتفع الصراخ والبكاء ، وتعالت التوسُّلات ، وكل من الركاب يرتعد فرقًا ، خشية أن يكون هو الضحيَّة التالية ، وقال (إسحق) فى قلق :

ـــ كفى يا (نافون) .. لقد أسلت الكثير من الدماء ، وأخشى أن يثير هذا غضب المصريين ، فـ....

قاطعه (نافون) ، صائحًا فى قسوة :

ـــ لن يفعلوا شيئًا يا صديقى .. لن يفعلوا شيئًا ..

ثم قفز نحو سيِّدة فى أوائل الثلاثينات ، فجذبها من شعرها ، وانتزعها من مقعدها فى قسوة ، وهى تصرخ وتتوسَّل فى رعب ، وهو يطلق ضحكات ساخرة عالية ، ويصرخ فى لهجة أقرب إلى الجنون :

ـــ لا فائدة يا جميلتى .. لن ينقذك شىء من انتقامى .. ما لم تستسلم حكومتك لمطالبى .

صرخت السيِّدة فى ضراعة :

ـــ ارحم أولادى .. أنا أم ..

قهقه (نافون) ضاحكًا ، وجذب المسكينة من شعرها ، وهو يلصق فوَّهة مسدسه برأسها ، ويرفع صمام الأمان به صارخًا :

ـــ الشيطان وحده قادر على إنقاذك يا جميلتى ..

لو أنه يرفض موتك فليأت بنفسه ، ويطلب منِّى الإبقاء على حياتك .. هيَّا .. دعى الشيطان نفسه يأتى إلى هنا .. هيَّا ..

ولم يكد (نافون) يتم عبارته ، حتى بدا وكأن الجحيم قد استجاب لندائه .. إذ اندفع الشيطان نفسه وسط عاصفة من الزُّجاج المهشَّم داخل ردهة الطعام .

* * *

لو أراد فنان مغمور أن يصوغ بريشته لوحة ، تدفع به لارتقاء عالم الشهرة ، وتعبِّر عن مزيج من أعجب المشاعر البشرية فى إطار واحد ، لاختار تلك اللقطة التى اندفع فيها جسد (أدهم صبرى) كالقذيفة عبْر النافذة ، إلى داخل ردهة الطعام ، وسط دوىّ شديد ، اشترك فى صنعه تحطُّم الزجاج ، وارتطام الأمواج ، وصفير الرياح فى آن واحد ، فقد تفجَّر الذهول فى وجوه الإرهابيين الثلاثة ، وانطلقت صيحات رعب من حناجر بعض الرُّكَّاب ، وسقط البعض الآخر أرضًا فى انهيار ، ووجم الباقون ، وقد تصوَّروا أن

هجوم (أدهم) ، طليعة لاقتحام قوات الصاعقة المصرية ، مما قد ينشأ عنه مصرع بعضهم .. كل هذا أصاب الجميع ، فى الثانية الأولى من اقتحام (أدهم) لردهة الطعام ..

وقبل أن يتبخَّر الذُّهول ، ويذوب الرُّعب ، ويختفى الوجوم ، قفز (أدهم صبرى) فى رشاقة غزال ، ووقف على قدميه فى خفَّة فهد ، وتحرَّكت ذراعه فى سرعة ، وانطلقت من مسدسه رصاصة أطاحت بمسدس (نافون) ، على بعد ستة أمتار من معصمه ، ثم دار (أدهم) على عقبيه ، وسط مجموعة من صيحات الرُّعب ، انطلقت من حناجر البعض ، وأطلق رصاصته الثانية لتخترق رأس (إسحق) بين عينيه تمامًا ، فهوى كتمثال من حجر ، دون أن يخرج من بين شفتيه حرف واحد ، فى نفس اللحظة التى انطلقت فيها رصاصة من مسدس (بيريز) ، وأصابت الأرض بين قدمى (أدهم) تمامًا ..

وقفز (أدهم) جانبًا ، وألقى جسده على الأرض ، وأطلق رصاصة ثالثة مرقت من عنق (بيريز) فى منتصف

حنجرته تمامًا ، وجحظت عيناه ، وخرجت من فمه حشرجة مؤلمة ، وهو يضرب عنقه بكفّيه ، وكأنه يحاول سدّ الثقب الذى حطّم مدخل جهازه التنفسى ، ثم انهار متكوّمًا على أرضية ردهة الطعام جثة هامدة ..

واستدار (أدهم) مرة أخرى مصوّبًا مسدسه إلى (نافون) ، ولكنه جذب المرأة إلى صدره ، وصنع منها درعًا تقيه رصاصة (أدهم) الأخيرة ، وهو يصرخ :

ـــ حاول أيها المصرى ، ولكن رصاصتك هى رسول الموت لهذه السيّدة المصرية .

نهض (أدهم) ، قائلًا فى صوت يفيض بالكراهية :

ـــ دَعْ هذه السيّدة أيها السفّاح .. ألَمْ يكْفِك ما سفكت من دماء ؟

قهقه (نافون) فى جنون ، وصاح :

ـــ أطلق النار إذن ، ولكن أنت قاتل مواطنتك .

تجمّع الرُّكّاب فى ركن الردهة الفسيحة فى رعب ، يطالعون الموقف ، وارتسم الفزع واليأس بأجلى صورهما

على وجه الأسيرة ، على حين قال (أدهم) فى صرامة :

ـــ حسنًا أيها الوغد .. احتفظ بأسيرتك ، ولكننى لن أسمح لك بالإفلات حيًّا .. سأقتلك .

صاح (نافون) فى تردُّد يشوبه الجزع :

ـــ إنك لن تجرؤ .

رفع (أدهم) مسدسه وصوّبه نحو (نافون) والسيّدة ، قائلًا فى برود :

ـــ هل تظن ذلك ؟ .. لنَرَ إذن .

وفجأة .. دفع (نافون) المرأة بعيدًا ، وهو يصرخ :

ـــ اذهبى عليك اللّعنة .

وفوجئ به الجميع يرفع القنبلة الحارقة منزوعة الفتيل ، ويصرخ فى جنون :

ـــ خُذْ أيها المصرى .. هذه هديّة من شياطين الجحيم .

* * *

١٢ ـــ الختام ..

قال رُكّاب الباخرة (حرية) ، فى أحاديثهم الصحفية ، التى تلت النجاة من حادث الاختطاف البشع .. إن الفضل الأول فى إنهاء الموقف للضابط المصرى ، الذى كان يتحرّك ويتصرّف بسرعة ومهارة مذهلتين ..

فلم يكد (نافون) يرفع القنبلة فوق رأسه ، استعدادًا لإلقائها على (أدهم صبرى) ، حتى انحنى هذا الأخير فى ثبات عجيب ، وسرعة خرافية ، ورفع مسدسه فى جرأة وقوة ، وأطلق رصاصته الأخيرة نحو القنبلة ..

انفجرت قنبلة النابالم الحارقة ، قبل أن تفارق كفّ (نافون) ، الذى صرخ حينما أصابت شظاياها جسده ، ثم لم يلبث صراخه أن تحوّل إلى بركان من الرُّعب والألم أمام أعين الجميع ، فقد سقطت مادة النابالم فوق جسده ، الذى اشتعل دفعة واحدة ، وتحوّل إلى كتلة من النيران ،

وأخذ يصرخ فى مزيج من رعب شديد ، وألم هائل ، وهو يتلوّى ، يخبط كفّيه محاولًا النجاة ، وارتفعت من جسده رائحة شواء مقززة ..

ولكن .. عجيبة هى هذه الكراهية .. فبرغم وجود أكثر من أنبوبة إطفاء فى الردهة .. وبرغم طبيعة (أدهم) التى تضم الشهامة المصرية والإقدام العربى .. وبرغم صيحات الألم والتوسُّل التى أطلقها (نافون) ، إلا أن أحدًا لم يتقدّم خطوة واحدة فى محاولة لإنقاذه .. بدا وكأن تبلُّدًا شديدًا قد أصاب مشاعر الجميع ...

ظل وجه (أدهم) جامدًا هادئًا ، تلوح فيه أمارات الكراهية والبغض ، وهو يتطلّع بعينين باردتين إلى الرجل الذى يحترق أمامه ، دون أن يحاول إنقاذه .. كان يشعر أن هذا هو جزاؤه العادل ، بعد أن قتل بلا رحمة فتاة فى ريعان شبابها وطفلًا بريئًا مسكينًا ..

أما رُكّاب الباخرة ، فقد شعروا بمزيج من الشّماتة واللامبالاة .. لم يكن (نافون) بالنسبة لهم رجلًا يحترق ،

بل مجرَّد شيطان ، عادت نيران الجحيم لتضمه إليها ، كما تضم الأم وليدها .. كانوا يرون أنها نهايته الطبيعية ؛ لأن الله (سبحانه وتعالى) يمهل ولا يهمل ...

وأخيرًا .. سقط (نافون) ، وسكن جسده إلى الأبد .. وتوقَّفت صرخات الألم من فمه ... هنا فقط توجَّه (أدهم) فى هدوء إلى أنبوبة الإطفاء ، ودفع المادة الرغوية لتطفئ النيران .

* * *

نظر القبطان (أيهاب رضوان) فى ساعته ، وقال فى راحة :

— إنها الثالثة تمامًا .. وها نحن أولاء فى طريقنا إلى الإسكندرية .. لقد أطلقنا العنان لمحركات الباخرة .

تمتم (أدهم) فى شرود :

— هذا عظيم .

عاد القبطان يقول :

— لا ريب أنك تشعر بالفخر ، بعد أن تحدَّث إليك السيِّد رئيس الجمهورية نفسه ، عَبْرَ لاسلكى الباخرة .. أراهن أنه سيمنحك وسامًا ، وأنت تستحقه فى الواقع .

ابتسم (أدهم) ، وأومأ برأسه دون أن ينطق ، فاستطرد القبطان :

— من العجيب أننى لم أعرف اسمك بعد .. هل هو سرّ ؟

قال (أدهم) فى هدوء :

— تقريبًا .

أومأ القبطان برأسه متفهِّمًا ، وقال :

— لن يدهشنى ذلك .. لا ريب أنك رجل من نوع خاص .. إنك رجل قادر على فعل المستحيل .

وفى تلك اللحظة ارتفع صفير اللاسلكى ، فتناول القبطان سمَّاعته ، واستمع إلى محدِّثه فى هدوء ، ثم ناول السمَّاعة إلى (أدهم) ، وهو يقول فى ابتسامة حانية :

— إنها رسالة خاصة لك ياسيادة العقيد .

تناول (أدهم) السمَّاعة فى هدوء ، ووضعها فوق أذنه ، متسائلًا :

— من المتحدِّث ؟

ولم يكد يسمع صوت المتحدِّث ، حتى انفجرت أساريره ، وارتسمت على وجهه علامات ارتياح بالغ ، وحنان عجيب ، وهو يهمس فى صوت متهدِّج :

— كم اشتقت لسماع صوتك يا عزيزتى .. كيف حالك ؟

جاءه صوت (منى توفيق) عَبْرَ موجات الأثير ، تقول فى رقَّة وسعادة :

— بل كيف حالك أنت يا سيادة العقيد ؟.. نحن جميعًا فى انتظارك .. الإدارة بأكملها تتحدَّث عن النجاح المبهر الذى حققته .. أنت عظيم كعهدى بك .

ضحك وهو يقول :

— ولكننى كنت أفتقدك يا عزيزتى .. إنها المرة الأولى التى أعمل فيها وحيدًا ، منذ بدأ عملنا معًا .. لقد افتقدتك بشدَّة .

ولو استطاع رؤية وجهها فى هذه اللحظة ، لانفجر ضاحكًا ، لشدة ما تخضَّب بحمرة الخجل ، ولكنه شعر بذلك فى صوتها الرقيق ، الذى اختلج وهى تقول :

— إننى لم أعد لمنزلى بعد ، فأنا أتابع أخبارك فى الإدارة منذ رحيلك وحدك .

سألها مداعبًا :

— هل شعرت بالخوف ؟

أجابته فى حنان :

— بعض الشىء ، ولكننى كنت واثقة من انتصارك .. ألست (رجل المستحيل) .

ابتسم القبطان (إيهاب رضوان) ، وهو يتطلَّع إلى وجه (أدهم) ، الذى تحوَّل إلى الحنان البالغ .. وأشاح القبطان بوجهه ليخفى دمعة سعيدة ، انحدرت من عينيه ، فقال بصوت مرتفع ، محاولًا مداراة مشاعره :

— هيَّا أيها الرِّجال .. فلننطلق بأقصى سرعة .. أريد أن نبتعد بقدر الإمكان عن هذا المكان . عن (قلب العاصفة)

* * *

[تمت بحمد الله]